بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا التاريخية والحضارية



بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف الأستاذ الدكتور/ حسنين محمد ربيع

بحث الطالبة/ نوال حمزة يوسف الصيرفي

٩٩/١٤٠٠هـ - ٧٩/١٩٨٠م


فهرس محتويات الرسالة

الفهـــرس

(بعده/ب)

(الفصل الثالث)

(الفصل الرابع)

(بعده/ج)

فهرس الخرائط

--

المقدمة

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، موضوع جديد من موضوعات حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين . فبعد أن عانى الصليبيون من ضراوة المقاومة الاسلامية في مدن وموانئ الشام ومصر فيما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين ، تحولوا الى مناطق اسلامية جديدة خاصة بعد حركة الكشوف البرتغالية ، وأصبح الخليج العربي مسرحا لحركة جهادية جديدة ضد البرتغاليين الصليبيين . وهذه الحركة الجهادية ضد البرتغاليين حفلت بافتراءات المؤرخين والمستشرقين الأوربيين . فقد تحدث معظم هؤلاء الباحثين الأوربيين عن النفوذ البرتغالي في الخليج بروح التعصب والحقد الأعمى ضد الاسلام والمسلمين ، مما ضخم كثيرا من الوقائع وأظهر البرتغاليين بمظهر بطولي زائف .

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين المسلمين قد تناولوا موضوع تاريخ الخليج في عهد الدولة العباسية باعتباره أقرب البحار الى مركز الخلافة العباسية في بغداد [١] ، وتناول البعض تاريخ الخليج بعد القرن العاشر الهجرى عندما تنبه الاوربيون لأهمية موقع الخليج العربي على

---

(١) انظر على سبيل المثال ، سليمان العسكرى ، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٧٢م .

طريق التجارة بين الشرق والغرب[1] ، الا أن الدراسات الخاصة بتاريخ الخليج في القرن العاشر الهجرى بالذات لم تحظ حتى الآن بدراسة علمية موضوعية من وجهة النظر الاسلامية . ومن هنا جاءت أهمية موضوع هذه الرسالة .

وقد استعان البحث بالمعلومات الواردة في المصادر العربية المعاصرة ، لاستنباط وجهة النظر الاسلامية منها حول الغزو البرتغالي للخليج العربي . ومن أهم المصادر التي استفاد منها البحث مؤلفات : ابن ماجد ، وابن اياس ، وابن الديبع ، وزين الدين ، والنهروالي ، والعيدروسي ، وابن المطهر ، وسوزا Sousa .

أما ابن ماجد ، فهو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف السعدى بن أبي الركائب النجدى ، بحار وعالم من علماء البحر والفلك المسلمين ، عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجرى وأوائل القرن العاشر ، وكان له الفضل الأول في ارشاد البحار البرتغالي فاسكودى جاما الى طريق الهند[2] ، وقد أغفلت معظم

---

(١) انظر على سبيل المثال ، قدرى قلعجي ، الخليج العربى ، ط بيروت ١٩٦٥ ؛ صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربى ، ط القاهرة ١٩٧٤ ؛ سيد نوفل ، الاوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة ، ط القاهرة ١٩٦١ ؛ أحمد أبو حاكمة ، تاريخ شرق الجزيرة العربية ، بيروت ١٩٦٥ .

(٢) انظر ما يلى ص ٨٢ ـ ٨٨

المصادر العربية ذكر هذا الملاح العربي وتاريخ حياته ، غير أنه تحدث عن نفسه فى مؤلفاته ومنها نعلم أن أصله يرجع الى نجد في وسط الجزيرة العربية ومولده في جلفار (رأس الخيمة) . وكتب ابن ماجد مؤلفات كثيرة في علوم البحر أهمها كتاب " الفوائد في أصول علم البحر والقواعد " ، " ثلاث أزهار في معرفة البحار " ، " وحاوية الاختصار في أصول علم البحار " و " أرجوزة بنات نعش والذهبية " ، " وضريبة الضرائب " و " كتاب المول " و " المعلقية " .[1] وقد استعان البحث بالكتابين الأولين ، ومعظم مؤلفات ابن ماجد لا تزال مخطوطة .[2]

ويعتبر كتاب " ثلاث أزهار في معرفة البحار " لابن ماجد من أهم المصادر التي أمدت البحث بمعلومات هامة عن المصاعب التي لاقاها البرتغاليون في ساحل شرق أفريقيا نظرا لعدم معرفتهم بنظام هبوب الرياح الموسمية . ولمّا كان ابن ماجد بحارا قضى معظم حياته على ظهر السفن ، لذا كان شاهد عيان لممارسة البرتغاليين أعمال القرصنة في المحيط الهندى ، وأشار الى ذلك في كتابه .[3]

---

(١) انظر ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، مقدمة المحقق ، ص ٧ - ٩ ، انظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية ، مادة شهاب الدين .

(٢) قام ابراهيم خورى بتحقيق ونشر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، ط دمشق ، ١٣٩٠هـ ، كما قام شيودور شوموفسكي بتحقيق كتاب ثلاث أزهار في معرفة البحار ، وترجمة محمد منير مرسى ، ط القاهرة ١٩٦٩م .

(٣) انظر ابن ماجد ، ثلاث أزهار ، ص ٤٣ ، ٤٥ .

أما كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد فيحتوى على معلومات اجتماعية واقتصادية وسياسية كانت ذات فائدة كبيرة للبحث، هذا فضلا عن معلومات قيمة عن أهمية منهج التجريب في علوم البحار وأهمية الرياح الموسمية للملاحة .[١]

وتحدث ابن ماجد في كتابه عن الحالة السياسية للبحرين وعمان وهرمز في النصف الثاني من القرن التاسع الهجرى مما أفاد البحث عند دراسة موضوع الخليج العربي قبل الغزو البرتغالي .[٢]

وكتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس يعتبر من أهم مصادر البحث . وابن اياس هو محمد بن أحمد بن اياس (٨٥٢ - ٩٣٠هـ/ ١٤٤٨-١٥٢٣م) مؤرخ مصرى من مؤرخي القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى من طبقة " أولاد الناس " أى أولاد أمراء المماليك ، فجده اياس الفخرى ،كان مملوكا من مماليك السلطان المملوكي الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة . ولمكانة أسرة ابن اياس في المجتمع المملوكي أصبحت له صلات قوية بالأمراء واصحاب المناصب الكبرى في السلطنة المملوكية . وقد عاصر ابن اياس انهيار سلطنة المماليك على أيدى العثمانيين وعبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح ، وبداية الجهاد الاسلامى

---

(١) انظر ابن ماجد ،كتاب الفوائد ،ص ٣٠٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ،ص ٣٠٠-٣٠٢ .

ضد البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي .

واستطاع ابن اياس بذكائه ودقة ملاحظته تدوين هذا كله في كتابه المشهور بدائع الزهور في وقائع الدهور . وكتاب بدائع الزهور لابن اياس يلقي أضواء كثيرة على تاريخ مصر والشام والحجاز حتى سنة ٩٢٨هـ/١٥٢١م . وتتميز كتابات ابن اياس منذ اعتلاء السلطان المملوكي قايتباى العرش سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م بذكر تفاصيل الحوادث على شكل سجل يومي وشهرى . ودوّن ابن اياس فى كتابه كثيرا من الحوادث العامة والخاصة ، وتتبع آثار هذه الحوادث على عامة الناس .(١)

وقد استفاد البحث فائدة كبيرة من الحوادث التي دونها ابن اياس في الفترة التي عاصر وقائعها منذ بداية القرن العاشر الهجرى ، فقد أسهب في وصف تدهور الحالة الاقتصادية ، في الدولة المملوكية بعد عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح وتحركاتهم فى المحيط الهندي . كما أمدّنا ابن اياس بمعلومات قيمة عن مراحل تجهيز الحملات التي بعث بها السلطان الغوري الى المحيط الهندي للتصدي للبرتغاليين ، ومصير هذه الحملات . وانفرد ابن اياس بذكر معلومات تاريخية هامة عن سقوط امارة البحرين في ايدي البرتغاليين عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م وهي معلومات لم ترد في أى مصدر تاريخي آخر .(٢)

---

(١) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، جـ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) انظر مايلي ص ١٤٤

وتعتبر كتابات ابن الديبع من أهم مصادر البحث . وابن الديبع هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني الزبيدي الشافعي المتوفي سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٦م. ولد بزبيد في اليمن سنة ٨٦٦ هـ/ ١٤٦١ م ونشأ بها وتلقي علومه فيها وفي مكة المكرمة . عاش ابن الديبع في نفس الفترة التي عاشها مؤرخ مصر ابن اياس غير أنه كان في بلاد اليمن ، وعاصر ابن الديبع آخر ملوك الدولة الطاهرية عامر بن عبد الوهاب (٨٩٤هـ - ٩٢٣هـ) وكان له حظوة عنده.(١)

ومن أهم مؤلفات ابن الديبع تيسير الوصول الى جامع الاصول ، وبغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد ، وقرة العيون بأخبار اليمن الميمون.(٢)

وترجع أهمية كتابات ابن الديبع لموضوع البحث الى أنه شهد انهيار الدولة الطاهرية علي يد حسين الكردى أثناء مروره على اليمن متوجها الى ساحل الهند سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م لمنازلة البرتغاليين في جزيرة ديو . وتحدث عن ذلك ، كما أن ابن الديبع وصف محاولة البرتغاليين الاستيلاء على مدخل البحر الأحمر سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م عندما هاجموا عدن وكمران وزيلع علي الشاطىء الشرقي لافريقية ، كما أنه أشار الى استيلاء البرتغاليين علي هرمز . وللأسف لم يمدنا ابن الديبع

---

(١) الغزى ،الكواكب السائرة ،جـ٢ ،ص ١٥٨ ، ١٥٩ ؛ الشوكاني ،البدر الطالع ،جـ١ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦.

(٢) حقق كتاب قرة العيون محمد بن علي الأكوع ،وطبع فى القاهرة ١٣٩٧ هـ

بمعلومات هامة عن منطقة الخليج العربي رغم أنه عاش مرحلة ازدياد النفوذ البرتغالي في الشرق .

ويعتبر كتاب " تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين " لزين الدين (١) من أهم وأقدم المصادر العربية التى اقتصرت على ذكر أحوال النفوذ البرتغالي في المحيط الهندى مع الاشارة الى الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية . وقد كان هذا المصدر خير معين فى هذا البحث ، حيث تميزت كتابة زين الدين بدقة الملاحظة والتحليل بحيث أمدنا بصورة واضحة عن الاهداف الصليبية والاقتصادية التى دفعت بالبرتغاليين لاجتياز رأس الرجاء الصالح . كما سرد زين الدين في كتابه إغارات البرتغاليين على سواحل الهند والمحيط الهندى ، كما أمدنا بمعلومات تاريخية وافية عن الحملات التي بعث بها سلاطين المماليك الى الساحل الهندي سنتي ٩١٤هـ ، ٩٢١هـ وأيضا الحملات التي بعث بها العثمانيون سنتي ٩٣٨ هـ ، ٩٤٤ هـ. (٢)

أما كتاب " البرق اليماني في الفتح العثماني " لقطب الدين النهروالي المتوفي سنة ٩٨٨هـ أو ٩٩١هـ / ١٥٨٠م أو ١٥٨٣م فيعتبر من مصادر البحث الهامة (٣). والنهروالي هو قطب الدين محمد بن أحمد

---

(١) ليس للمؤلف ترجمة في المصادر والمراجع المعروفة ولم يتحدث عن نفسه فى كتابه ، ولكن حوادث الكتاب تنتهي عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م.

(٢) انظر زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٠-٤٢ ، ٥٧-٥٩ .

(٣) اختلفت المصادر فى تحديد وفاة النهروالى ، انظر الغزي ، الكواكب السائرة ، ج ٣ ، ص ٤٤ ، ٤٥ ؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج ١ ، ص ١٢٦ ؛ الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

علاء الدين بن محمد بن قاضي خان ، مؤرخ وفقيه وشاعر من اعلام القــرن العاشــر الهجرى . اتقن اللغتين التركية والفارسية ، مما أكسبــه ثقافة واسعة في عصــره . ورحل في طلب المعرفة الى مصر والشام واستانبول وتولى منصب القضاء والتدريس في مكة المكرمة . واكتسب النهروالــي مكانة رفيعة لدى السلاطين والوزراء العثمانيين المعاصرين ، هــذا بالاضافة الى مكانته العالية لدى أشراف مكة .[1]

وللنهروالي مؤلفات كثيرة أهمها : " البرق اليماني في الفتــح العثماني " والاعلام باعلام بيت الله الحرام " ، " وتذكرة النهروالــي" ، والتمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة " ، و" طبقات الحنفيــة " ، و"الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية ".[2]

ومؤلفه "المسمى " البرق اليماني في الفتح العثماني " من أكثــر كتبه أهمية بالنسبة للبحث ، حيث تناول النهروالي في هذا الكتاب موضوع ضم العثمانيين لبلاد اليمن في القرن العاشر الهجرى .واحتــوى الكتاب على معلومات هامة عن عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح ،وتحركاتهم في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري ، والمحاولات التي قــام

---

(١) الشوكاني ، البدر الطالع ، جـ ٢ ،ص ٥٧ .

(٢) النهروالي ، البرق اليماني ،مقدمة المحقق ،ص ٣٩ ، ٤٧ .

بها البرتغاليون لعقد تحالف مع أمراء عدن ضد الدولة العثمانية .[1]

وذكر النهروالي في " البرق اليماني " تفاصيل حطة سليمان باشا الخادم التي أرسلها السلطان سليمان القانوني للتصدي للنفوذ البرتغالي في المحيط الهندي سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م ، ومما يؤخذ على النهروالي أنه حابى العثمانيين كثيرا ،نظرا للمكانة التي حاز عليها عندهم . وقد أهدى هذا الكتاب الى القائد العثماني سنان باشا فاتح اليمن ،كما أهداه الى السلطان العثماني مراد خان ابن السلطان سليم (٩٨٢هـ-١٠٠٣هـ)[2]

ومن المصادر الهامة أيضا لموضوع البحث كتاب المؤرخ عبد القادر العيدروسي (٩٧٨هـ - ١٠٣٨هـ / ١٥٧٠-١٦٢٨م) المسمى " النور السافر عن أخبار القرن العاشر " .[3]

والمؤلف هو العلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ ابن عبد الله العيدروسي الحسني اليمني ، ولد بمدينة أحمد أباد في الهند ، وله مؤلفات عديدة منها " الحدائق الخضرة في سيرة النبي عليه السلام وأصحابه العشرة " ، والمنتخب المصطفى في أخبار مولد المصطفى .

---

(١) انظر البرق اليماني ، ص١٠٠، ١٠١، ٢٤٩، ٢٥٣ .

(٢) النهروالي ،البرق اليماني ،ص ٦ .

(٣) صححه وضبطه محمد رشيد افندى الصفار وطبع فى بغداد ١٣٥٣هـ.

أما كتابه " النور السافر " فقد احتوى على تراجم وأهم حوادث القرن العاشر مثل سقوط سلطنة المماليك في مصر ، ومهاجمة البرتغاليين لعدن عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م . وذكر العيدروسي فى كتابه " معلومات هامة عن فتوح الامام أحمد بن ابراهيم القريـن في الحبشة " ، ولستيلاء البرتغاليين على مدينة هرمز ، وعلى جزيرة ديوفي الساحل الهندى سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٣م .(١)

وقد استفاد البحث أيضا من المعلومات القيمة الواردة في النور السافر عند الحديث عن مهاجمة البرتغاليين للشحر في جنوب شبه الجزيرة العربية على عهد السلاطين الكثيريين وعن علاقة الشحر بالدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري .(٢)

أما مخطوطة " روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح " لابن المطهر فهي من أهم مصادر البحث . وابن المطهر هو السيد عيسي بن لطف الله بن المطهر بن الامام شرف الدين اليماني الكوكباني المتوفي سنة ١٠٤٨ هـ/ ١٦٣٨م ، وهو مؤرخ وشاعر له مؤلفات عديدة منها روح الروح والنفحة اليمنية فى الدولة المحمدية ، أهداهما الى الوزير التركي محمد باشا . وقد عاصر ابن المطهر الامام القاسم

---

(١) العيدروسي ، النور السافر ، ص ٦٢ ، ١٩٨ ، ٢٥٢ .

(٢) انظر مايلى ص ١٢٠ ، ١٢١

ابن محمد امام ومؤسس الدولة القاسمية في اليمن ، وكان يفد اليه واحتل مكانة رفيعة لديه .[1]

ومخطوطة " روح الروح " لابن المطهر تقع في (٥١٥) ورقة وتنتهي بحوادث جرت في اليمن سنة ١٠٢٩ هـ ، واحتوت المخطوطة على معلومات هامة للبحث ، خاصة بمحاولات البرتغاليين اختراق البحر الأحمر ، والفتح العثماني لليمن ، وتحالف العثمانيين مع مسلمي شرق افريقية . كما أورد ابن المطهر في كتابه خبر استيلاء البرتغاليين على هرمز مفتاح الخليج العربي .[2]

ومن أهم المصادر التي أفادت البحث فائدة كبيرة فيما يتعلق بتفاصيل الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج العربي ، هو كتاب المؤرخ البرتغالي فاريا سوزا Faria Sousa الذى عاش فيما بين سنتي (٩٩٩هـ - ١٠٥٩هـ / ١٥٩٠ - ١٦٤٩م)[3] ،

وعنوانه : The history of the discovery and cConquest of India by the portugues .

(تاريخ اكتشاف وغزو البرتغاليين للهند)

---

(١) الشوكاني ، البدر الطالع ، جـ ١ ، ص ٥١٦ .

(٢) انظر ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٧ ، ٩ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٩ .

(٣) Every man,s Encyclopedid, Article Faria .

وقد ترجم الكتاب الى اللغة الانكليزية جون ستيفن John Stevens ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، يحتوى على تاريخ مفصل للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي وجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر .

ودوّن المؤرخ فاريا سوزا في كتابه مراحل الغزو البرتغالي للخليج العربي ومهاجمة البرتغاليين لجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر وساحل افريقية الشرقي . كما حفل الكتاب بمعلومات مفيدة عن أسلوب الحياة التي عاشها البرتغاليون في بحار الشرق ، مما أفاد البحث عند دراسة موضوع ممارسة البرتغاليين لعمليات القرصنة في المحيط الهندى والخليج العربي .(١)

ويؤخذ على فاريا سوزا تعصبه الشديد للبرتغاليين وروحه الحاقدة ضد الاسلام والمسلمين ، لذلك كان يجب أخذ رواياته بحذر شديد ، خاصة فيما يتعلق بالاسلام والمسلمين مثل وصفه للقادة الاتراك بالقراصنة، والمبالغة في عدد القتلي من المسلمين في المعارك التي جرت ضد البرتغاليين ، وتصوير عمليات الارهاب والوحشية أثناء غزو البرتغاليين للخليج العربي على أنها من أعمال البطولة البرتغالية .(٢) لذلك كان

---

(١) انظر مايلي ص ٩٥-٩٨ ، ١٢٢-١٢٦

(٢) Sousa. The history of the discovery, Vol.(1).P. 126, 127,134; Vol.(2) .P.163 .

لابد من مقابلة المعلومات الواردة في كتابه " تاريخ اكتشاف وغزو البرتغاليين للهند " بما ذكره المؤرخون المسلمون المعاصرون أمثال زين الدين ، والنهروالي ، والعيدروسي ، وابن المطهر ، وتفنيد هذه المعلومات، وفي حالة عدم ذكر الحادثة في المصادر العربية أخضعناها للنقد والتحليل بما يتفق مع العقل والمنطق .

ويحتوى هذا البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، احتوت المقدمة على **دراسة نقدية لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث .**

أما الفصل الأول وعنوانه "" الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي"" فقد تناول دراسة العوامل التي أدّت الى ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل الغزو البرتغالى مثل العوامل الجغرافية، وتعدد الموانىء التجارية الصالحة لرسوّ السفن ، وحالة الأمن في الخليج العربي. وشرح الفصل تأثير هذه العوامل جميعها على ثمراء أهالي الخليج العربي وازدهار تجارتهم ، واحتوى الفصل على معلومات خاصة بخطوط الملاحة التي ربطت بين الخليج العربي ومصادر تجارة الشرق ، وهي الهند والصين وشرق افريقية والبحر الأحمر . كما تحدث الفصل الاول أيضا عن أهمية طريق الخليج العربي في نقل السلع الشرقية الى موانىء الشام، ومراحل ازدهار هذا الطريق وفترات الركود التي اصابته أحيانا نتيجة اختلال الأمن في فترات مختلفة ، وتناول الفصل الأول حالة الخليج

العربي السياسية في القرن التاسع الهجرى ، موضحا الاحوال السياسية للعراق وفارس والامارات العربية في الشاطئ الغربي للخليج العربي حتى يسهل المقارنة بين أحوال الخليج العربي السياسية قبل النفوذ البرتغالي وبعده .

أما الفصل الثاني وعنوانه " **كشف طريق رأس الرجاء الصالح ووصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي** " فقد درس العوامل التي أدت الى حركة الكشوف الجغرافية وخاصة العوامل الدينية الصليبية التي احتلت المقام الأول بين العوامل الاقتصادية والجغرافية وغيرها . وناقش الفصل الثاني موضوع فضل البحارة العرب في كشوف البرتغاليين ، ودور اليهود في نقل المعلومات البحرية العربية الى البرتغاليين قبل كشفهم لرأس الرجاء الصالح . كما تناول الفصل دور الملاح العربي ابن ماجد في كشوف البرتغاليين ودوره في ارشاد أهم رحلة قام بها البرتغاليون الى الشرق بقيادة فاسكو دى جاما . كما درس هذا الفصل جهود الملاحين البرتغاليين بارثلميو دياز وفاسكو دى جاما في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح . وناقش الفصل النتائج التي ترتبت على هذا الاكتشاف ، ومن أهمها تحقيق الأهداف الصليبية ، وتحويل طريق التجارة من البحر الاحمر والخليج العربي الى الطريق المار حول افريقية ، وانهيار تجارة سلاطين المماليك والبنادقة .

وعالج الفصل الثالث وعنوانه " النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى وموقف العثمانيين والصفويين " عدة نقاط هي غزو البرتغاليين لمراكز التجارة في الخليج العربي وهذه المراكز هي قلهات وقرياط ومسقط وصحار وخورفكان وهرمز والبحرين والقطيف والبصرة . كما تتبع الفصل مراحل توغل البرتغاليين في الخليج العربي ، وما صاحبه من انتهاك لحقوق الانسان وممارستهم لاعمال الارهاب والوحشية والظلم من أجل فرض السيطرة البرتغالية ومحاربة الاسلام والمسلمين .

كما شرح الفصل الثالث حوادث تدمير هؤلاء الغزاة البرتغاليين الصليبيين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي سواء بتدمير الموانئ وتحطيم السفن الراسية فيها أو بممارسة أعمال القرصنة والنهب للسفن التجارية العربية المارة في الخليج ، وفرض رقابة شديدة على السفن التجارية وارغامها على حمل التصاريح البرتغالية أثناء المرور في مياه الخليج العربي .

وأخيرا ، ناقش الفصل الثالث موقف أبناء الخليج العربي من هذا الغزو ، ومحاولاتهم خلع نير السيطرة البرتغالية ، والحملات التي بعثت بها الدولة العثمانية الى الخليج العربي للتصدى لذلك النفوذ البرتغالى . كما ناقش الفصل الثالث أيضا موقف الصفويين ومحاولتهم

عقد حلف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية .

وتناول الفصل الرابع وعنوانه " **نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى** " موضوع محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها الى موانىء مصر والشام

والقى هذا الفصل الضوء على حملات البرتغاليين في جنوب شبه الجزيرة العربية ومدخل البحر الأحمر وتوغلهم حتى جدة باعتبار أن هاتين المنطقتين تمثلان مركزين لاعداد وتجهيز الحملات العثمانية المتوجهة الى الخليج العربي . كما شرح الفصل الرابع أيضا ردود الفعل العثمانية على الحملات البرتغالية ، ثم تأثير هذا النفوذ على حركة التجارة المارة عبر الخليج العربي . كما تناول الفصل موضوع تحالف البرتغاليين مع الاحباش لضرب القوى الاسلامية في شرق افريقيه وتكوين جبهة صليبية ضد الدولة العثمانية في البحر الأحمر حماية لمصالحهم في الخليج . وتناول هذا الفصل دراسة الموقف العثماني من هذا التحالف ، وتعرض باختصار لموضوع التنافس بين القوى الأوربية للسيطرة على تجارة الخليج العربي في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر الهجرى ، بعد أن تنبهت القوى الأوربية الأخرى لأهمية تجارة الشرق وأهمية معبر هذه التجارة وهو الخليج العربي . كما ناقش الفصل الرابع أسباب تدهور القوة البرتغالية في الخليج العربي مع بداية القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى .

وأما خاتمة البحث فقد ناقشت أهم النتائج التي تم التوصل اليهـــا واشتمل البحث على مجموعة من الخرائـــط التي توضح كثيرا من مواقـــع الموانىء والمدن والأماكن التي ورد ذكرها في فصول الرسالة ،فضلا عـــن خطوط الملاحة ، ورحلة فاسكودى جاما الى الهند .

واني أتوجه بشكرى وتقديرى الى استاذى المشرف على هذه الرسالـــة الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع الذى لم يدخر جهدا فى سبيل توجيهى وارشادى في هذا البحث . كما أشكر أخوتي الكرام الذين لم يبخلـــوا بمساعدتي جهد طاقتهم في جمع مصادر هذا البحث ،جزاهم اللـــــه عني خير الجزاء .

وختاما الله أسأل أن أكون قد وفقت ، وأرجو أن يكون هذا البحـــث قد ألقى ضوءا على فترة هامة وغامضة في تاريخ الخليج العربي ، والله مـــن وراء القصد انه نعم المولى ونعم النصـــير .

--•--

الفصل الأول

الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي

١ - عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي

٢ - خطوط الملاحة بين الخليج ومصادر تجارة الشرق .

٣ - أهمية طريق الخليج في نقل السلع الشرقية إلى موانئ الشام .

٤ - الأحوال السياسية للخليج العربي في القرن التاسع الهجري .

(١) عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي

٥٥٥

يأتي في مقدمة عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي ، العامل الجغرافي . فالخليج العربي يمتد على شكل ذراع بحرى في جنوب غرب آسيا ، وهو أحد أذرع المحيط الهندى حيث يمثل البحر الأحمر الذراع الآخر والموازى له ، ويذكر هذه الحقيقة ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان فيقول : " بحر فارس هو شعبة من بحر الهند الأعظم "[(١)] وتقدر مساحة الخليج بسبع وتسعين ألف ميل مربع أى ما يعادل ٢٥٠ ألف كيلو متر . ويبلغ طوله من البصرة الى ساحل عمان نحو ٨٠٠ كيلو متر ، ويبلغ عرضه ٢٢٨ كيلو متر في أقصى اتساعه شرق جزيرة قطر ، وبين ستة وأربعين كيلو مترا عند مضيق هرمز[(٢)] . ويشتمل الخليج العربي على عدد كبير من الجزر الصغيرة مما

---

(١) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٣ ؛ سليمان العسكرى ، التجارة والملاحة في الخليج في العصر العباسي ، ص ٧ - ٨ .

(٢) سليمان العسكرى ، نفس المرجع ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ؛ قدرى قلعجي ، الخليج العربي ، ج ١ ، ص ٢٦ .

شجّع على الملاحة فيه حيث تجد السفن دائما ملجأ لها وقت العواصف البحريـة الخطرة .

ويمثل الخليج العربي بموقعه الفريد نقطة وصل بين القارات الثلاث ، آسيا ، وافريقية ، وأوربا . وكذلك يمثل جسرا طبيعيا لتجارة الشرق الآتية من الهند والشرق الأقصى ، والذاهبة الى أوربا ، باتصاله بأرض الهلال الخصيب (العراق والشام) ، كذلك التجارة القادمة من أوربا عبر الشام والعراق فالخليج العربي .[1]

ولم يكن الخليج معبرا تجاريا فحسب وانما هو أيضا من مراكز التجارة الهامة ، فتتفرع منه طرق برية أسهمت فى نقل المتاجر الواردة برا الى المدن الداخلية مما عزز نشاط الطريق البحرى في الخليج ، وكذلك في تصدير سلع بلدان الخليج الى أنحاء العالم المعروف آنذاك . فعلى الشاطئ الشرقي للخليج في اقليم فارس تقع الموانئ التجارية الهامة مثل سيراف وهرمز ومنها تنقل كثير من المتاجر بواسطة القوافل الى داخل البلاد . ومن الموانئ الهامة الواقعة على الشاطئ الغربي للخليج العربي ، تقوم القوافل بتوزيع المتاجر الى داخل شبه

---

(١) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ٥ - ٧ ؛ قدرى قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٢٥ - ٢٦ .

الجزيرة العربية . أما النافذة الثالثة للخليج فهي التي تطل على بلاد الرافدين وهي أهم النوافذ وأكثرها شهرة .[1]

وعرف الملاحون نظام هبوب الرياح الموسمية في الخليج العربي والمحيط الهندى والبحر الأحمر فساعدهم ذلك على اتقان ركوبه ،وبالتالي نظموا رحلاتهم الى الشرق الاقصى والهند وشرق افريقية . وتختلف مواقيت الرياح الموسمية في المحيط الهندي عنها في الخليج العربي ، فالسفن الذاهبة الى شرق افريقية من الخليج العربي تدفعها الرياح الشمالية الشرقية (شتاء) في النصف الثاني من نوفمبر والنصف الأول من ديسمبر ، وتعود الى الخليج تدفعها الرياح الجنوبية الغربية (صيفا) كما أن السفن القاصدة الى الصين كانت تدخل الخليج العربي في شهرى سبتمبر وأكتوبر ، وتعبر المحيط من مسقط الى ساحل المليبار بالهند تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية مابين شهرى نوفمبر وديسمبر.[2]

ولأهمية هذه الرياح للملاحة فقد ذكرها علماء الفلك والبحر المسلمون في مؤلفاتهم ، ووضعوا قوانين لارشاد السفن أثناء هبوب هذه الرياح ،وحذروا من الجهل بها ،فيقول ابن ماجد : "" فيجب أن نذكر

---

(١) سليمان العسكرى ، نفس المرجع ،ص ١٤ .

(٢) سليمان العسكرى ،نفس المرجع ،ص ١٩٦، ٢٠١ ؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ،ص ١٦٥ .

مواسم السفر التي لا يستوى السفر الا بها ، لأن فوات الموسم وتقدمه وتأخيره ، داع الى مالا خير فيه "[1] . ويذكر سليمان المهرى في كتابه المنهاج[2] الفاخر هذا المعنى فيقول : " أعلم أن الارياح الاصلية أربعة : شمال وجنوب وقبول ودبور .... ولهذه الارياح في البحر المعمور المسلوك حدود في أوائلها وأواخرها وأواسطها تسمى مواسم وهي معلومة عند سفار البحر " . ويقول في تحذيراته لربان السفينة: " الحذر أولا من ثلاثة أمور : الأولى : تأخير الموسم وتفويته خصوصا من الهند " . ويذكر في كتابه " العمدة المهريه[3] " عدة أمور يجب اتباعها اثناء هبوب الرياح أهمها على حد قوله : " تفقد في جميع أسفارك آلات المركب جميعها كالسكان ، خصوصا مع الارياح فى كل يوم وتصغير القلع على المركب خصوصا في الليل وفي وقت الغيوم والأمطار والأرياح " .

وكان لتعداد الموانىء التجارية الصالحة لرسو السفن في الخليج العربي الفضل الكبيرفي زيادة أهمية الخليج ومن أهم عوامل ازدهار حركة التجارة فيه .

---

(١) ابن ماجد ،كتاب الفوائد ،ص ٣٠٩ .

(٢) سليمان المهرى ،المنهاج الفاخر ،ص ١٠١ .

(٣) سليمان المهرى ،العمدة المهرية ،ص ١٩٣ .

ومن أهم الموانىء التي كونت شهرة الخليج العربي على مرالعصور سيراف وهرمز والبصرة والبحرين والقطيف وعمان وصحار ومسقط وقلهات .

فأما سيراف فهي من أقدم المراكز التجارية وأكثرها ازدهارا في الخليج العربي . وتقع سيراف على الشاطىء الشرقي للخليج جنوب شيراز ، وهي ميناء بلاد فارس على الخليج العربي ، وبلغت سيراف مبلغا عظيما من الازدهار حتى أصبحت تنافس البصرة في الغنى والثراء ، وقد سماها المقدسي دهليز الصين وخزانة فارس وخراسان ، وعن طريقها تمر صادرات فارس ووارداتها .(١)

وتقصد سيراف السفن القادمة من شرق افريقية والهند والصين كما تقلع منها السفن الذاهبة الى عدن وعمان والهند والصين. ورغم جدب أرضها وشدة حرها فقد كانت مدينة عامرة مشهورة بكثرة بنيانها وثراء أهلها الذى يصل الى حد الترف . فيذكر الاصطخرى أن ثروة الرجل من أهل سيراف تصل الى ألف ألف (مليون) درهم يكتسبها من تجارة البحر .(٢)

---

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ،ص ٤٢٦ ؛ انظر أيضا الاصطخرى، المسالك والممالك ،ص٣١ ؛ جورج حوراني ، العرب والملاحة،ص٢٠٧ - ٢٠٨ ؛ آدم متز ، الحضارة الاسلامية ،ص ٤٣٧ .

(٢) الاصطخرى ،المسالك والممالك ،ص ٩٢ - ٩٣ ؛ انظرأيضا الحميرى ، الروض المعطار ص ٣٣٣ .

وقد استولى على سيراف أمير جزيرة قيس التي تقع في مواجهة سيراف ، وزارها الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى وذكر أن قيسا هي سيراف[1]. وقد حوّل هذا الأمير التجارة عنها الى بلاده ، فأخذت سيراف في الانهيار أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .[2]

أما هرمز فهي ميناء رئيسي لبلاد فارس تقوم على مضيق الخليج الذى أطلق عليه اسم مضيق هرمز . وترجع أهميتها الى أنها مركز تجارى للسلع الشرقية ، كما أنها نقطة التقاء القوافل المحملة بالمتاجر من السند ووسط فارس ، وتصدر عن طريقها أيضا سلع مقاطعتى كرمان وفارس[3] . ويتميز طقس هرمز بالحرارة الشديدة خاصة بالقرب من البحر ، لذلك كان تجارها يقيمون مساكنهم على بعد فرسخين من الشاطئ في القرى . ورغم ذلك فهي مدينة زراعية كثيرة النخل والمياه وما جعلها ميناء لتموين السفن أيضا .[4]

---

(١) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٧٨ ، ٢٨٠ .

(٢) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٢١ .

(٣) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٩٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٤٠٢ ؛ سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٠٩ ، ١١١ .

(٤) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٣١ ، ٩٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص ٥٩٥ ؛ سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٠٩ ، ١١١ .

وفي القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى خرّب المغول مدينة هرمز الساحلية فانتقل أهلها الى جزيرة "جرون" المقابلة للساحل . وبعد ذلك أطلق عليها اسم هرمز أيضا فازدادت أهميتها وذاعت شهرتها حتى القرن العاشر الهجرى .(١)

ومن الموانىء التجارية الهامة في الخليج العربي البصرة ، وتقع على الطرف الشمالي من الخليج العربي عند التقاء نهر دجلة بنهر الفرات . وأغلب أنهار البصرة المتفرعة من دجلة والفرات صالحة للملاحة . وتتصل البصرة ببغداد عن طريق القنوات ، كما أنها تمثل نقطة التقاء الطرق الممتدة من وسط بلاد فارس الى الخليج والممتدة أيضا من بادية شبه الجزيرة العربية الى الخليج العربي . ولذلك أصبحت البصرة مركزا تجاريا هاما لتوزيع السلع الآتية من بلاد فارس والعراق والشام والجزيرة العربية عبر الخليج العربي ، ولاستقبال السلع الآتية من الشرق الأقصى وخاصة التوابل في طريقها الى العراق فالشام فسواحل البحر المتوسط .

وتشتمل البصرة على أسواق مزدهرة أهمها السوق الكبير الذى

---

(١) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٣٣٩ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة بندر عباس .

بلغ ايراده في منتصف القرن التاسع الهجرى حوالى ٤٤١٫٠٠٠ دينار سنويا ، كما أن بها مخازن ومستودعات للمتاجر .[1]

ومن المراكز التجارية الهامة على الخليج العربي البحرين ، وهي مجموعة جزر تقع بالقرب من الشاطىء الغربي للخليج العربي . وتعود شهرة البحرين الى مصايد اللؤلؤ التي تحيط بها ، ويشتغل فيها معظم سكان البحرين ، وتؤلف أحد المصادر الاساسية للثروة عندهم . وتعتبر المنامة المركز الرئيسي لتجارة اللؤلؤ بالاضافة الى كونها مركزا تجاريا هاما لتجارة السلع الشرقية ، كما يصدر عن طريقها اللؤلؤ الى جميع أنحاء العالم آنذاك .[2]

أما القطيف فتقع في منطقة الأحساء على الشاطىء الغربى للخليج العربي ، وتشتهر بالزراعة والمياه الجوفية الوفيرة . وأهم مزروعات القطيف النخيل ،وتصدر منتجاتها منه بالاضافة الى منتجات الاحساء من التمور . ويشتغل بعض سكان القطيف بالغوص لاستخراج اللؤلؤ . وكانت القطيف محطة للقوافل التجارية الآتية من جنوب بلاد العرب

---

(١) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ،ص ١١٢ ؛ سليمان العسكرى ، نفس المرجع ،ص ٩٤ ، ٩٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ،مادة البصرة.

(٢) المسعودى ،مروج الذهب ،جـ١ ص ١٤٨ ؛ المقدسي ،أحسن التقاسيم ،ص ١٠١ - ١٠٢ ؛ سيد نوفل ،الاوضاع السياسية ، جـ١ ، ص ٤٧ ؛ صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ٢٦٣ .

والذاهبة الى العراق ، لذلك كانت تزود السفن العابرة في الخليج بتجارة شبه الجزيرة العربية ، كما أنها كانت محطة لتوزيع منتجات الشرق الأقصى داخل شبه الجزيرة العربية .(١)

ويعتبر ساحل عمان من أهم مراكز التجارة في الخليج العربي حيث يحتوى هذا الساحل على أكثر من ميناء تجارى لاستقبال التجارة الشرقية مثل صحار ومسقط وقلهات . وقد لعب العمانيون دورا هاما في هذه التجارة منذ القدم ، فان طبيعة بلاد عمان التي تفصلها عن بقية شبه الجزيرة العربية الصحراء الشاسعة ، جعلت أهلها يتجهون ناحية البحر ويصبحون بالتالي أمة بحرية تجارية من الدرجة الأولى . يضاف الي ذلك أن أرض عمان أرض زراعية وفيرة المياه مما زاد في أهميتها كمركز لتموين السفن .(٢)

والميناء الرئيسي على ساحل عمان هو صحار التي تشتهر بجوهـا المعتدل وأرضها الخصبة ومزروعاتها الوفيرة ، وتعتبر مخزنا للسلع

---

(١) ابو الفداء ، تقويم البلدان ،ص ٩٩ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار، ص ٢٨٠ ؛ سليمان العسكرى ،نفس المرجع ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٢٧ ؛ الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤١٣ ؛
Milles. The Countries and tripes, p.356

الواردة من الهند والصين ، وفيها تلتقي السفن التجارية المحملة بسلع الخليج العربي ، ومنها يتم تموين السفن ثم الانطلاق مرة أخرى الى الهند والصين وشرق أفريقيه .

وبلغت صحار أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجرى . واستمر هذا الازدهار حتى القرن السابع الهجرى [1] ، عندما تدهورت صحار وأصبحت خربة في منتصف القرن السابع الهجرى ، وتحولت تجارتها الى هرمز وقلهات في القرن الثامن الهجرى . وذكر أبو الفدا صاحب تقويم البلدان و المتوفي سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م أن صحار قد أصبحت بلدة خرابا [2] . كما أن ابن ماجد الذى عاش في القرن التاسع الهجرى لم يصفها وصفا يدل على أهميتها التجارية مثلما وصف مسقط ، مما يشير الى استمرار خرابها حتى ذلك القرن [3] .

---

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٢ ؛ الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٢٧ ؛ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٣ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ؛ سليمان العسكرى ، نفس المرجع ، صفحة ١١١ ، ١١٢ .

(٢) أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٩٩ ؛ دائرة المعارف الاسلامية مادة صحار .

(٣) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٢٨٢ .

أما مسقط فقد كانت لها أهمية تجارية كبيرة على ساحل عمان وظلت مزدهرة ازدهارا عظيما حتى القرن العاشر الهجرى • ويرجع ذلك الى أن مسقط محطة تجارية هامة ومركز عظيم من مراكز التموين للسفن ، حيث تتوفر فيها الآبار العذبة والمزروعات وخاصة النخيل[١] وذكر ابن ماجد أن مسقط بندر مشهور في الدنيا لم يكن له مثيل ، وله جبل يراه أصحاب السفن الداخلة الى الخليج مما يسهل رسو السفن فيه ليلا ونهارا ، كما أنه يصدر التمر والخيل ويستقبل السلع المختلفة من الهند وشرق افريقية •[٢]

أما قلهات فهي ميناء تجارى هام على ساحل عمان زادت شهرتها في القرن الثامن الهجرى ، بعد تدهور وخراب صحار خاصة أن معظم أهلها كان يشتغل بالتجارة •[٣]

ومن أهم عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي هو استقرار الأمن به وما قامت به الدول الاسلامية

---

(١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥٥٩ •

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ •

(٣) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٢٠-٢٢١ •

المتعاقبة من منع أخطار القرصنة في مياهه . وقد مرّ الخليج العربي بفترة من أزهى عصوره وأكثرها رخاء وأمنا وهي فترة وحدة العالم الاسلامي زمن الخلافة الأموية والخلافة العباسية . ورعت الدولة الاسلامية أمن واستقرار الخليج العربي ، وشجعت التجارة فيه ، نظرا لقربه من حاضرة الأمويين في دمشق ، ثم حاضرة العباسيين في بغداد، مما شجع الحركة التجارية في الخليج وزاد من رخص السلع المجلوبة من الصين والهند ، وأدى بالتالي الى رخاء الدولة الاسلامية التي ملكت كل الطرق التجارية الرئيسية في العراق والشام وفارس .[١]

ومن مظاهر رعاية الدولة الاسلامية لأمن واستقرار الخليج العربي محاربتها للصوص البحر ، فكانت تقيم الحصون في أهم المناطق التي يتواجد فيها هؤلاء اللصوص ، فيذكر الاصطخرى أن في عبدان حصن عامر فيه حامية ترابط لمراقبة اللصوص والتصدى لهم على مر الأيام[٢] . كما وضعت الدولة الاسلامية علامات لارشاد السفن في المناطق الخطرة على الملاحة وخاصة قرب البصرة لضحالة المياه وكثرة الصخور الناتئة.

---

(١) Milles. op. cit. P. 3659 .

جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ١٩٥ .

(٢) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٣١ .

وذكر المسعودى والاصطخرى أن هذه العلامات كانت تسمى خشبات البصرة ، وهي عبارة عن منارات من الخشب يسكنها ناظور يوقد في الليل المصابيح لارشاد السفن الداخلة الى البصرة ، وتمتد هذه المنارات على سواحل فارس والبحرين وعمان .(١)

وفي بداية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى هاجم تيمور لنك فارس والعراق فاضطرب حبل الأمن من جديد ، وتضررت طرق التجارة المارة من الخليج العربي الى العراق والشام ، مما سبب اعاقة الحركة التجارية في هذه الطرق وان لم تنقطع نهائيا .(٢)

واستمر هذا الحال على عهد الجلائريين ودولة القره قوينلو ، ودولة الآق قوينلو ، الذين تعاقبوا على حكم فارس والعراق حيث كانت الحروب تستعر إبان قيام احدى هذه الدول أو أثناء امتداد نفوذها .

ولابد من الاشارة هنا الى أن اضطراب الأمن في الخليج العربي بعد الغزو المغولي للدولة الاسلامية فى القرن السابع الهجرى لم يؤد الى تدمير أو تحطيم تجارته كما حدث عندما غزاه البرتغاليون

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج١ ، ص ١٤٩ ؛ الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٣٠ ؛ والناظور من نظر والناظر هو الحافظ ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٧٥ .

(٢) انظر مايلى ص ٢٩ - ٤١

وأحالوه خرابا في بداية القرن العاشر الهجرى كما ستوضحه هذه الدراسة .

٥٥
٥

(٢) خطوط الملاحة
بين الخليج العربي ومصادر تجارة الشرق

٥٥
٥

مخرت السفن العربية - خاصة سفن الخليج العربي - عباب المحيط الهندى منذ أقدم العصور . وتعددت خطوط الملاحة بينه وبين مصادر التجارة الشرقية ، وأشهرها خطان رئيسيان للملاحة البحرية أحدهما يتجه الى الهند ، والصين ، وثانيهما يتجه الى البحر الأحمر وشرق افريقية . فأما الطريق البحرى المؤدى الى الهند والصين فهو أطول طريق استعمله العرب على نحو منتظم منذ آلاف السنين . وسلوك هذا الطريق في ذلك الوقت وبالامكانيات والآلات المعروفة آنذاك ، يعتبر من الاعمال العظيمة الجديرة بالدراسة .[1]

---

(١) انظر جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

ويتفـرع هذا الطريق الى فرعين أحدهما تسلك فيه السفن العربية الخليج العربي من البصـرة وسيراف وتمر على البحرين وهرمز ثـم ترسو عند الساحل العماني في صحـار ومسقط وقلهات ، فتتزود بالمؤن ثم تمخـر المحيط الهندى الى كولم ملي (كويلون حاليا Quilon) في جنوب ساحل المليبار في الهند ، ثم تتجه السفـن العربية الـى الصين وغالبا ما يسلك هذا الطريق السفن الكبرى المحملة بالمتاجر .

أما الفـرع الآخر للطريق البحرى المؤدى الى الهند والصـين فهو أن تنطلق السفن بعد توقفها في هرمز الى السند مارة بمحاذاة الساحل الفارسي الى الديبل والمنصورة من موانىء الملتان بالسنـد . وسلكت هذا الطريق السفن المتوسطة الحجم والتي كانت ترغب فـى نقل السلع الهندية من موانىء السند . ثم تحمل السفن هذه المتاجر، الى الصـين مارة بازاء الساحل الغربي للهند ، حتى تصل الـى كولـم ملي نقطة الانطلاق الى الصـين .[1] وكانت الرحلة الملاحيـة بـين الخليج العربي والهند والصين تستغرق ما يقارب ستة أشهر .[2]

---

(١) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٢٩ ؛ جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ؛ سليمان العسكري ، نفس المرجـع ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) قدرى قلعجي ، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٥٤ ؛ ريسلر ، الحضـارة العربية ، ص ١٣٢ .

واستطاع البحارة والتجار العرب بسلوكهم الاسلامي في المعاملات التجارية أن يكسبوا ثقة الحكام في سواحل الهند وسيلان والصين ، وأسسوا جاليات عربية على سواحل تلك البلاد . ونتيجة احتكاكهم بأهالي البلاد انتشر الدين الاسلامي في تلك النواحي بسرعة كبيرة ، مما يؤكد أن التجار العرب كان لهم دور كبير في نشر الاسلام في الشرق الأقصى ، وأن الدين الاسلامي قوي بذاته وبتعاليمه السمحة وشموله للحياة الانسانية ، ولا يحتاج من ينشره الى قوة الدولة أو السلاح .

أما الخط الملاحي الثاني بين الخليج العربي وشرق افريقية والبحر الأحمر فله فرعان ، الفرع الأول : تخرج فيه السفن من الخليج العربي الى ساحل عمان ، وتسير بمحاذاة الشاطئ الجنوبي لبلاد العرب مارة بالشحر ثم الى عدن . ومن عدن تتجه السفن اما الى داخل البحر الأحمر أو تعبر الى شرق افريقية ،وهناك تتابع رحلتها حتى سفاله (موزمبيق حاليا) وجزيرة قنبلو (مدغشقر حاليا) . وقد ذكر المسعودى أن مراكب العمانيين والسيرافيين تقصد سفاله وهي نهاية مطاف سفنهم .(1)

وتستغرق الرحلة من الخليج الى عدن نحو أربعة أشهر . ويقصد

---

(١) المسعودى ،مروج الذهب ، جـ ٢ ،ص ٦ .

ويقصد التجار سفاله للحصول على الذهب والرقيق والعاج والعنبر والأخشاب .[1]

أما الفرع الآخر لهذا الطريق البحرى فتنطلق السفن من رأس الحد على ساحل عمان الى جزيرة سوقطرة ثم الى رأس جورد افوى على الساحل الشرقي لافريقية . وهذا الفرع من خط الملاحة الرئيسي محفوف بالمخاطر نظرا لتحصن كثير من لصوص البحر في جزيرة سوقطرة واعتراضهم لهذا الطريق ، فكانت معظم السفن تفضل السير من الطريق المار بعدن[2] ، ومن عدن كانت سفن الخليج تدخل الى البحر الأحمر وتتوغل فيه حتى جدة ، ولكنها لم تتابع سيرها الى أبعد منها نظرا لكثرة الشعاب المراجانية على سواحل البحر الأحمر .[3]

وهكذا نجد أن البحارة والتجار العرب من الخليج العربي قد جابوا جميع أنحاء المحيط الهندى وبحر العرب والشاطىء الشرقي

---

(١) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٢٧ .

(٢) جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ سليمان العسكرى نفس المرجع ، ص ٢٠١ ؛ ريسلر ، نفس المرجع ، ص ١٢٣ .

(٣) سليمان العسكرى ، نفس المرجع ، ص ٢٠١-٢٠٢ .

لأفريقية والبحر الأحمر مما جعلهم مهرة في ركوب البحر ، ويكفي دليلا على ذلك أن ابن ماجد العالم والبحار والفلكي الماهر هو من أبناء الخليج العربي .

٥٥٥

(٤) أهمية طريق الخليج العربي في نقل السلع الشرقية الى موانئ الشام

٥٥٥

ومما زاد في أهمية طريق الخليج العربي كمنفذ للتجارة العالمية هو اتصاله بنهري دجلة والفرات . ويعتبر هذان النهران امتدادا طبيعيا للخليج مما جعل هذا الطريق مباشرا وقليل التكلفة لأنه لا يقطع صحراء قاحلة تكلف مالا وجهدا في الحراسة.(١) واكتسبت أرض العراق أهميتها أيضا باتصال انهارها بالخليج العربي ، وبالتالي غناها من تجارة الشرق الواردة اليها عن طريقه ، ويقول المقدسي في هذا الأمر " واعلم أن العراق ليس ببلد رخاء ،ولكن جلّ وعمّر بهذين النهرين

---

(١) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ،ص ١٢٤ - ١٢٥.

وما يتحمل فيهما وبحر الصين (المحيط الهندى) المجاور له ".[١]

وباتصال الخليج العربي بأرض العراق أصبح يتحكم في نقل السلع الشرقية الى موانىء البحر المتوسط [٢] ، فكانت البضائع تنقل من البصرة على المراكب النهرية في نهر الفرات ، ثم الى نهر عيسى المتفرع منه والذى يتصل ببغداد . ومن بغداد تنقل السلع التجارية عبر أرض الجزيرة بواسطة القوافل حتى حلب ودمشق وصور وصيدا على سواحل البحر المتوسط ، وكانت الرحلة تستغرق من بغداد الى حلب خمسين يوما .[٣]

وهناك طريق آخر برى الى جانب دجلة والفرات تنقل فيه البضائع بواسطة القوافل غرب نهر الفرات ثم الى أرض الشام ثم الى حلب . ويخدم هذا الطريق الكثير من آبار المياه والمحطات التجارية القريبة منها . وتستغرق الرحلة بالقافلة بين البصرة وحلب سبعين يوما .[٤]

---

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٤ .
(٢) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٩ .
(٣) جورج حوراني ، نفس المرجع ، ص ١٩٥ - ١٩٦ ؛ لونكريك ، أربعة قرون في تاريخ العراق ، ص ٤٣ .
(٤) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٧٧ - ٧٨ ؛ سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٨-١٩ ؛ لونكريك ، نفس المرجع ص ٤٣ .

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، وانهيار سلطة الدولة على طريق التجارة أصبح البدو يحصلون على ضرائب نظير عبور القوافل التجارية لأراضيهم . واستمر هذا الحال حتى القرن العاشر الهجرى . وكانت متاجر الشرق الأقصى تأخذ طريقها الى أوربا بواسطة التجار الأوربيين الذين قدموا الى موانىء الشام على البحر المتوسط للحصول على هذه المتاجر وبيع السلع الأوربية . وفى مواسم التجارة كانت ترد الى سواحل الشام حوالي خمس عشرة ألف جمل محملين بالسلع الشرقية لتعود بالسلع الغربية ومنها الزجاج والانسجة والعطور والأسلحة .(١)

وفي حلب كانت تتجمع متاجر شمال الشام وشمال أرض الجزيرة والمتاجر الآتية من أوربا ، لتبدأ القوافل رحلة العودة الى أرض العراق ودجلة والفرات ، ليتم تصديرها عن طريق البصرة الى الهند والشرق الأقصى وشرق افريقيا .(٢)

وهذا الازدهار الكبير لطريق الخليج ـ العراق ـ الشام اعترضته فترات من الفوضى والاضطراب ، أخلت بحالة الأمن فيه وأضرت بالمصالح

---

(١) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٤٦ - ١٤٨ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة حلب ، لونكريك ، نفس المرجع ص ١٢ .

التجارية للسكان ، ومن هذه الفترات فترة قيام حركة الزنج في جنوب العراق في القرن الثالث الهجرى والتي استمرت مدة أربعة عشر عاما وقد مارس الزنج عمليات النهب لمراكب الحجاج والمراكب التجارية في نهرى دجلة والفرات .[1]

وأدت الحروب المدمرة التي قام بها تيمور لنك في العراق والشام وفارس ، وكذلك الحروب التي نشبت بين خلفاء تيمور لنك والجلائريين ، وبين تركمان القره قوينلو والآق قوينلو أدت الى تدهور هذا الطريق ، والى انتشار قطاع الطرق ، والى نهب المدن أثناء هذه الحروب ، فيذكر المقريزى على سبيل المثال في حوادث سنة ٨٣٣هـ: "وكانت بعراقي العرب والعجم نهوب وغارات ومقاتل .... وخلا أحد جانبي بغداد من السكان ، وزال عن بغداد اسم التمدن ، ورحل عنها حتى الحيّاك ، وجف أكثر النخل من أعمالها ".[2]

ويذكر ابن العماد في حوادث نفس السنة (٨٣٣هـ) فيقول : " وفيها كان الغلاء الشديد بحلب ودمشق والطاعون المفرط بدمشق وحمص ومصر ". كما يذكر نفس المؤرخ في حوادث سنة ٨٣٥ هـ الخراب

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ١٢ ، ص ١٧٦٨، ١٧٧٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، ص ٣٤٨، ٣٥٨-٣٥٩ ، قدرى قلعجي ، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٢) المقريزى ، السلوك ، قسم٢ ، جـ ٤ ، ص ٨٣٧ .

الذى حل بالعراق وفارس في تلك الفترة فيقول : " وفيها خرب الشرق من بغداد الى تبريز من فرط الغلاء وعمومه " .[1]

ورغم هذه الحروب وما تبعها فان طريق الخليج العربي المار بالعراق والشام لم تتوقف التجارة خلاله تماما ، ولم تنقطع الا في النصف الأول من القرن العاشر الهجرى بسبب الغزو البرتغالى للخليج العربي وما واكبه من عدم ورود المتاجر الى البصرة التى تعتبر أهم نقطة على هذا الطريق الحيوى .

أما عن أنواع السلع المنقولة على السفن العربية عبر الخليج العربي ، فقد تعددت أنواع هذه السلع ، فهناك السلع الآتية من الهند والشرق الأقصى وهي التوابل بأنواعها التي استخدمت في الأطعمة وفي صنع العقاقير الطبية ، مثل القرفة والقرنفل والخلنجان والزنجبيل وخيار شمر والراوند والعفص والبلسم والكافور وعرق الكافور والعود الهندى والحبهان وجوز الطيب والزعفران والتوتيا .

وبالاضافة الى التوابل فقد شملت السلع الهندية والصينية أنواع العطور والبخور ومنها عود السند والمسك وخشب الصندل والبخور

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٧ ، ص ٢٠٠ ، ٢١١ .

واللادن والمصطكي واللبان الجاوي . كما حملت السفن من الهند خشب الساج الذى استخدمه سكان الخليج في بناء المنازل والسفن ، كما حملت السفن الأحجار الكريمة والمسك والأفيون والصبغات والحرير والعقيق وزيت السمسم .(١)

وهناك أنواع من السلع حملتها السفن العربية من شرق أفريقية الى الخليج العربي منها الذهب والرقيق والعاج والعنبر وجلود النمور التي يصنع منها غطاء السروج ، والزبل وهو ظهور السلاحف ويصنع منه الأمشاط والأخشاب ، والأرز والصمغ وريش النعام .

أما السلع الآتية من البحر الأحمر فكانت اليمن تصدر البرود والسيوف اليمانية المشهورة والحصر المصنوعة من الجلد والبن والبخور والصمغ والزعفران النقي والعصفر ، ومن المعادن النحاس والزئبق . أما مصر فكانت تصدر الحبوب والأعلاف والسمسم والقطن والكتان والعصفر

---

(١) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٧٠ ، ٢٤٠ ؛ سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ١٥٧ ، ١٦٢ ؛ آدم متز ، نفس المرجع ، ص ٣٣٤ .

والنيلة وقصب السكر والتبغ وماء الورد وملح النشادر .[1]

ومن المتاجر المارة في طريق الخليج العربي والواردة من أوربا عن طريق سواحل الشام فأهمها الحديد والرصاص والنحاس وخيوط الذهب والفضة والاواني الزجاجية والأصواف والساتان والورق والأخشاب[2]

وكانت تصدر من العراق - عبر الخليج العربي - التمور العراقية المشهورة، والحناء والأنسجة القطنية والحريرية والصوفية والعطور المحلية المصنوعة من ماء الورد والبنفسج والكتان وعمائم الخز ، وزيت السمسم والسكر والنيلة للصباغة، والفواكه المجففة .[3]

---

(١) نعيم زكي ، نفس المرجع ، ص ١٧٤ ، ١٧٦ ؛ آدم متز، نفس المرجع ،ص ٣١٤ ، ٣٢٣ ؛ جب- بوون ، المجتمع الاسلامي والغرب ج ٢ ،ص ١٠٥-١٠٦ ، ١٥٥ ؛

Serjeant. The Portugues, p.p.10- 11 .

(٢) جب - بوون ، نفس المرجع ،ص ١٥٦-١٥٧ ؛ نعيم زكي ، نفس المرجع ص ٢٤٤ ، ٢٤٩-٢٥٠ .

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٤ ، ١٢٨ ؛ آدم متز نفس المرجع ،ص ٣٠٩ ، ٣١٢ ؛ جب - بوون ، نفس المرجع ج ٢ ،ص ١٤٢ ، ١٥٣-١٥٤ .

وأما فارس فكانت تصدر عبر الخليج العربي المنسوجات الحريرية والقطنية والصوفية والحصر والستائر وثياب الكتان المشهورة ، والثياب المصنوعة من القصب، والفواكه المجففة والصابون وأنواع الزيوت والدهون والعطور المصنوعة من البنفسج والنرجس والسوسن ، والزئبق والنارنج ، ومعادن الفضة والحديد والكبريت والنفط والنحاس ومواد الكتابة والبسط الفارسية المسماة بالطنافس .(١)

أما سلع شرق الجزيرة العربية فمن أهمها اللؤلؤ الذى يصدر من البحرين والقطيف وعمان وهو من أفضل أنواع اللؤلؤ عند أهل الهند والصين ، والتمور والبخور والعقاقير ،والمرو الصبر ،واللبان والخيول العربية الأصيلة ، التي كانت تصدر من القطيف وعمان . وكان يجلب الى الهند من الخيول العربية في كل عام حوالي خمسة آلاف رأس .(٢)

وأخيرا فان الخليج العربي حتى قيام حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية كان من أفضل طرق التجارة ازدهارا وحيوية ، كما أن بلدان

---

(١) الاصطخري ،المسالك والممالك ،ص ٩٣- ٩٤ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٤٢ ؛ آدم متز ،نفس المرجع ،ص ٣٥٧، ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٢) آدم متز ، نفس المرجع ،ص ٣٢٨، ٣٤٨ ؛ جب ـ بوون ، نفس المرجع ،جـ٢ ،ص ١٥٧-١٥٨ ؛ سليمان العسكري ،نفس المرجع صفحة ١٣٧ - ١٣٨ .

الخليج العربي كانت أكثر البلاد ثراء بما حصلت عليه منن المتاجـــرة بالسلع الشرقية .

٥٥٥

(٤) الأحوال السياسية للخليج العربي في القـــرن التاسع الهجـــرى

٥٥٥

ترتبط الحالة السياسية للامارات العربية في الخليج فـــي القرن التاسع الهجرى بقيام مملكة هرمز وفرض سلطانها على تلـــك الامارات الممتدة من البحرين والقطيف الى عمان . فقد وصلت غزوات المغول المدمرة في القرن السابع الهجرى الى الشاطىء الشرقي للخليج العربى . ولما دمرت مدينة هرمز القديمة التي تقع على الساحل نتيجة هذا الغزو المغولي ، انتقل أهلها الى جزيرة في البحر مقابلة للمدينة الساحلية تسمى " جرون " وأطلقوا عليها اسم هرمز الجديدة . وبمضي الزمن أقام التجار في هرمز الجديدة مملكة ثرية مزدهرة ، فرضت سيطرتها على الامارات العربية في الشاطئ الغربي من الخليج ، وعلى

كثير من جزره ، كما ضمت قسما كبيرا من الشاطئ الشرقي .[1]

وقامت هرمز بجباية المكوس والضرائب من المدن والموانئ التابعة لها ، خاصة من مصايد اللؤلؤ في البحرين وقطر . وكان اللؤلؤ يشكل مصدرا هاما للثروة ، خاصة لحكام هرمز . يضاف الى ذلك أرباح المتاجر الشرقية الواردة من الهند والشرق الأقصى . وقد زار هرمز بين عامي ٧٣٠ - ٧٣٢ هـ/ ١٣٢٩ - ١٣٣١م الرحالة ابن بطوطة وقد لفت انتباهه عظم ثراء ملك هرمز المسمى قطب الدين تمهتن بن طوران شاه ، حيث وجد في يده سبحة من اللؤلؤ لا تقدر بثمن ، وذكر أن مصايد اللؤلؤ تخضع لحكمه .[2] الا أن مملكة هرمز دب فيها الضعف في أواخر القرن التاسع الهجرى ، ومما يؤيد هذا القول ما ذكره ابن ماجد من أن ملك هرمز كان يستنجد بأمير البحرين في وقت الشدة ضد أقربائه الطامعين بالسلطان .[3] ومن شواهد ضعف مملكة هرمز أيضا فى أواخر القرن التاسع الهجرى أن إمارة البحرين فرضت سيطرتها

---

(١) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٣٣٩ ؛ ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٧٢ - ٢٧٥ ؛ صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ٩-١٠ .

(٢) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٣) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣٠٠ ، ٣٠٢ .

على عمان سنة ٨٩٣ هـ/١٤٨٧ م وصارت تأخذ الكثير من محاصيلها سنويا .(١)

أما نظام الحكم في الامارات التابعة لمملكة هرمز فقد كان في أيدى بعض القبائل ، فالبحرين - على سبيل المثال - كانت تتكون من ثلاث مائة وستين قرية تسكنها قبائل من العرب تشتغل بالتجارة والزراعة ، بلغت أوج قوتها في القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .(٢)

وفى النصف الثاني من القرن التاسع الهجرى حكم البحرين آل جبر بن زامل ، يعود أصلهم الى قبيلة من قبائل نجد نزحت الى الأحساء سنة ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م . واستأثر بحكم الأحساء سيف بن زامل بن حسين العقيلي الجبرى ، وبعد أن انتصر على آخر ولاة الجراونة بقايا القرامطة في الأحساء . ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم في الأحساء بعده أخوه أجود بن زامل ابن حسين الجبرى الذى ، استنجد به السلطان سرغل بن نور شاه ملك هرمز ضد أخيه الذى نازعه الملك سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥ م . ولما أعانه أجود بن زامل في استرداد ملكه وهبه حكم القطيف والبحرين . وبعد وفاة أجود تولى ابنه سيف

---

(١) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

ابن زامل الذى وسّع أطراف امارته على حساب جيرانه ، فاستولى على عمان من أميرها سليمان بن سليمان بن نبهان سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧م ، وولى عليها أميرا من قبله هو عمر بن الخطاب الأباضي أو الخروصي .(١)

وأما الابن الآخر لأجود بن زامل واسمه مقرن فقد حكم البحرين وعمان في النصف الأول من القرن العاشر الهجرى . وفي عهده استولى البرتغاليون على البحرين سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢١م وقتلوه بعد عودته من الحج في تلك السنة .(٢)

أما عمان فمنذ القرن الثامن الهجرى كان يحكمها بنو نبهان وهم من قبيلة الأزد بن الغوث .(٣) وقد هاجمها أمير البحرين سيف بن أجود بن زامل الجبرى وقضى على الاسرة النبهانية وولى عليها عمر بن الخطاب الاباضى كما سبق القول . وحكم الاباضية عمان حتى بداية القرن العاشر الهجرى حينما غزا البرتغاليون عمان سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م وكان حاكمها آنذاك هو محمد بن اسماعيل الخروصى (٩٠٦-٩٤٢هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٣٥م) (٤)

---

(١) عبد الله السالمي ، نهضة الأعيان ، ورقة ٧٩ ؛ السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ١٩٠ ؛ ابن ماجد ، كتاب الفوائد ص ٣٠٢ ؛ الاحسائى ، تحفة المستفيد ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

(٢) انظر مايلي ص ١٢٤

(٣) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٢٧٢ .

(٤) عبد الله السالمي ، نهضة الاعيان ، ورقة ٧٩ ؛

Milles. op. Cit. p.p. 143 -144 .

ومن مدن عمان الساحلية قلهات ومسقط وخورفكان وصحار ، وكانت هذه المدن تدفع لمملكة هرمز إتاوة سنوية ، فمثلا كانت قلهات تدفع سنويا مبلغ ألف ومائة دينارا أشرفيا .[١] وتدفع مسقط أربعة آلاف دينارا أشرفيا وصحار ألف وخمسمائة دينارا أشرفيا وخورفكان ألف وخمسمائة دينارا أشرفيا .[٢]

أما عن الحالة السياسية لبلاد فارس والعراق فى القرن التاسع الهجرى فقد سادت العراق وفارس ظروف سياسية مشتركة خلال ذلك القرن ، حيث أن الاسرة الحاكمة التي حكمت العراق غالبا ما كانت تمد نفوذها الى بلاد فارس أو العكس . ففي بداية القرن التاسع كانت تسيطر على العراق وكردستان واذربيجان الدولة الجلائرية التي أسسها تاج الدين حسن بزرك عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م[٣] بينما كانت بلاد فارس تخضع لحكم التيموريين . ولم تكن سيرة الجلائريين في العراق حسنة حتى كرههم أهل العراق وحاول أهل بغداد طرد الجلائريين

---

(١) الدينار الاشرفي : دينار من الذهب ضرب في عهد السلطان المملوكي الاشرف برسباى (٨٢٥هـ-٨٤٢هـ/ ١٤٢١م-١٤٣٨م) واطلق عليه لفظ الأشرفي وهو يساوى وزن الدوكات البندقي (٣٫٤٥جرام) انظر عبد الرحمن فهمي محمد ، النقود العربية ، ص ٩ ، ٩٩ .

(٢) Milles. op. cit. p.p. 155 – 156 .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بغداد .

منها سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩هـ في عهد السلطان أحمد بن أويس الجلائري ، الذي استنجد بأمير من التركمان يدعى قره يوسف حاكم قبيلة قرة قوينلو (الشاة السوداء) في اذربيجان وشرق الأناضول ، وقد لحقت الهزيمة بأحمد بن أويس وقره يوسف فأصبحا طريدين خارج بغداد .(١)

وخلال هذه الحوادث وفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م دخل تيمور لنك العراق وخرّب بغداد والبصرة والكوفة ففر من العراق أحمد بن أويس وقره يوسف والتجآ الى بلاط بايزيد الأول رابع سلاطين العثمانيين (٧٩١ - ٨٠٤هـ/١٣٨٩ - ١٤٠٢م)(٢)

وفي عام ٨٠٧هـ/١٤٠٥م عاد السلطان أحمد بن أويس الى بغداد بعد موت تيمور لنك ، وعمل على اصلاح ما خرّبه في بغداد واعاد تحصينها ، كما أعاد قرا يوسف الى امارته .

وحدث أن ثارت المنازعات بين السلطان أحمد وقرا يوسف أمير

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٢ ، ص ٢١٥ ؛ لونكريك نفس المرجع ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) المقريزي ، السلوك ، قسم ٣ ، جـ ٣ ، ص ١١١٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٢ ، ص ٢٦١ ؛ لونكريك ، نفس المرجع ، ص ١٧ سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ص ٣١ ، ٣٧ .

التركمان بسبب التنافس حول السيطرة على تبريز في فارس . ودخل الطرفان في حروب مستمرة ، وأخيرا تمكن قرا يوسف من قتل السلطان أحمد والاستيلاء على دولته عام ٨١٣هـ/١٤١٠م وبذلك قضى على آخر السلاطين الجلائريين في العراق .(١)

ثم أخذت دولة قره قوينلو في الاتساع فشملت وسط وشمال العراق وأذربيجان في شمال فارس . واشتدت الحرب بين قرا يوسف وشاه رخ - التيموري الذي حكم معظم بلاد فارس حتى وفاة قرا يوسف سنة ٨٢٣هـ ١٤٢٠م . وقد امتدت دولة التيموريين الى الشاطئ الشرقي للخليج العربي وجنوب العراق ومن ضمنها البصرة ، فقد حكمها حتى سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م ميرزا ابراهيم بن شاه رخ .(٢)

وفي سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م كانت دولة القره قوينلو قد توسعت على عهد السلطان جهان شاه حتى وصلت الى شط العرب وفارس وكرمان وبلغت الدولة في عهده أوج قوتها . ورغم ذلك استمرت الحروب بينه وبين الأمراء التيموريين بالاضافة الى خروج كثير من ولاته عليه ،

---

(١) عبد النعيم حسنين ، ايران في ظل الاسلام ، ص ٢٠ - ٢١ ؛ لوتكريك نفس المرجع ، ص ١٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بغداد .

(٢) ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ١٦٣ ، ٢٢٩ .

مما ساعد على زوال دولته على أيدي قبيلة تركمانية أخرى كانت تحكم في ديار بكر شمال العراق وكانت تخضع لنفوذ مملكة القره قوينلو، وهي قبيلة الآق قوينلو (الشاة البيضاء) .(١)

وقد هاجمت هذه القبيلة التركمانية (آق قوينلو) بغداد بقيادة أوزون حسن سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م وقضت على السلطان جهان شاه ومملكته القره قوينلو ومدو نفوذهم بعد ذلك الى الجزء الغربي من بلاد فارس ، بينما بقي الجزء الشرقي منها في أيدى الأمراء التيموريين حتى بداية القرن العاشر الهجرى ، عندما قضت عليهم الدولة الصفوية.(٢)

ولم يؤثر تعاقب الدول والحكام في تحسين حالة العراق وبلاد فارس ، بل استمرت المنازعات والفوضى السياسية حتى قامت الدولة الصفوية عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م وفرضت سيطرتها على العراق وبلاد فارس في بداية القرن العاشر الهجرى .

---

(١) لونكريك ،نفس المرجع ،ص ١٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بغداد .

(٢) عبد النعيم حسنين ،نفس المرجع ،ص ٢١ - ٢٢ ؛ لونكريك ، نفس المرجع ،ص ١٨ .

ولاشك أن هذه الغوضى السياسية فيفارس والعراق قد أثـــرت تأثـيرا سيئا على ازدهار طريق التجارة المار في كل من فارس والعرا ق والشام[1] ، كما أن هذه الحالـة السياسية المتدهورة في فارس والعراق والامارات العربيــة قد مهدت للغزو البرتغالي للخليج العربي فـــي بدايـة القرن العاشر الهجرى .

-٠-

---

(١) انظر ماسبق ص ٢٩، ٤٠



خطوط الملاحة بين الخليج العربي ومصادر التجارة الشرقية

الفصل الثانى

كشف طريق رأس الرجاء الصالح
ووصول البرتغاليين إلى الهند والخليج العربي

١- العوامل التى أدت إلى الكشوف الجغرافية وخاصة العوامل الدينية الصليبية .

٢- فضل البحارة العرب فى كشوف البرتغاليين

٣- جهود بارثلميو دياز وفاسكودى جاما فى اكتشاف رأس الرجاء الصالح .

٤- نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح

مع بداية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى انتهت جهود الرحالة البرتغاليين باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول الى الهند ، والتطلع بعد ذلك الى السيطرة على شواطئ شبه الجزيرة العربية وأهمها شواطئ الخليج العربي الذى يمثل مركزا تجاريا هاما على طريق الهند .

(١) العوامل التي أدت الى الكشوف الجغرافية وخاصة العوامل الدينية الصليبية

٥٥٥

لاشك أنّ العوامل الدينية من أهم العوامل التي أدت الى حركة الكشوف الجغرافية التى تعتبر حلقة من سلسلة الحروب الصليبية ومن المعروف أن الحروب الصليبيّة لم تنته في القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلاد ، وأنّ النصر الحاسم الذى حققه المسلمون على الصليبيين في مصر والشام لم ينه العداء المرير للاسلام ، بل نرى هجمة أخرى تشنها الصليبية تخرج من البرتغال . ولا شك أن التوسع المسيحي في الأندلس في القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى على حساب المسلمين ثم طردهم منها لتعتبر حلقة أخرى من سلسلة الحروب الصليبية ضد الاسلام وان لم تكن آخرها .(١)

(١) انظر أيضا سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، ج ٢ ،ص ١٢٥٧- ١٢٥٨ ، أحمد دراج ، المماليك والفرنج ،ص ٨٤-٨٥.

ومهما تعددت الشروح والأقاويل عن أسباب قيام البرتغاليين بحركتهم الهائلة ، للالتفاف حول افريقية ، فاننا نجد أن الدافع الحقيقي لهذه المغامرة هو مواجهة الاسلام في عقر داره . وهذه فكرة سيطرت على العالم الأوربي المسيحي منذ زمن طويل وازدادت الحماسة لها في القرن السادس عشر ، فالقيام بهذه الحركة يعني الالتفاف حول العالم الاسلامي .(١)

وأسبغت البابوية والكنيسة الكاثوليكية رعايتها الروحية على هذه الجهود وأيدتها في جميع مراحلها دون تردد . ففى عام ٨٥٩هـ ١٤٥٤م أصدر البابا نيقولا الخامس منشورا يبارك فيه جهود الأمير هنرى الملاح ويعطيه الحق فى أن يغزو جميع الشعوب والأقاليم التي يسودها أعداء المسيح .(٢) وكذلك أصدر البابا كاليكستوس الثالث سنة

---

(١) Shaw. The Ottoman Empire. Vol.1., p.99.
عبد العزيز الشناوى ،أوربا في مطلع العصور الحديثة،ص ١١١ ؛ بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ،ص ٢٩ ؛ السيد رجب حراز، عصر النهضة ، ص ٣٠٩ .

(٢) بانيكار ، نفس المرجع ،ص ٢٦ - ٢٧ ؛ عبد العزيز الشناوى نفس المرجع ،ص ١١٢-١١٥ ؛ أحمد دراج ، نفس المرجع، ص ٨٥ - ٨٧ .

٨٦١هـ/١٤٥٦م مرسوما آخر بنفس المعنى ، بالاضافة الى ثلاثة مراسيم أصدرها البابا اسكندر السادس سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٣م [١].

ولا شك أن محاولة التقليل من شأن الدافع الدينى وراء حركة البرتغاليين الكشفية هو أمر أصبح ينافي الوقائع والحوادث فى تلك الفترة، ولا يفسرها التفسير الصحيح . فقد سيطرت على البرتغاليين في القرن العاشر الهجرى ، فكرة تحويل أعدائهم المسلمين الى المسيحية في كل مكان يتواجدون فيه ، سواء في آسيا أو افريقية [٢]. وفسّر ذلك المؤرخ المسلم المعاصر زين الدين بقوله : " ثم أن بغيتهم العظمى وهمتهم الكبرى قديما وحديثا ، تغيير دين المسلمين وادخالهم في النصرانية نعوذ بالله من ذلك " [٣].

يضاف الى ذلك أن الباحث يلاحظ علاقة طرد المسلمين من الاندلس بالكشوف الجغرافية ، ففي نهاية القرن الثامن الهجرى/

---

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٨-٢٩ ؛ أحمد دراج ، نفس المرجع ص ٨٥-٨٦.

(٢) رجب حراز عصر النهضة ،ص ٣٠٩ .

(٣) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٦.

الرابع عشر الميلادى أخذ الضعف يدب في دولة الاسلام بالأندلس بينما ازداد المسيحيون قوة . وما أن قضى المسلمون في مصر والشام على فلول الصليبيين حتى أخذ هؤلاء يعيدون الكرة مرة أخرى مع مسلمي الأندلس الذين تفاقمت شرورهم فيما بينهم ، وأخذ نفوذهم في الانحسار أمام قوة الصليبيين واتحادهم .(1) وفى سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م انقضّ الصليبيون على مملكة غرناطة آخر الممالك الاسلامية بالأندلس وقضوا عليها ، لتبدأ مرحلة تتبع المسلمين في كل مكان في البر والبحر والى شمال أفريقية(2) ، ومن ثم التفكير بتطويق المسلمين من الجنوب ونشر المسيحية بينهم لكي لا يفكروا بالعودة الى الأندلس مرة أخرى . وهكذا أصبحت أسبانيا والبرتغال نصيرة المسيحية المتعصبة وراعيتها في القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلاد .(3)

---

(١) أحمد دراج ، نفس المرجع ،ص ٩٤-٩٥ .

(٢) سعيد عاشور ،نفس المرجع ،جـ ٢ ،ص ١٢٥٣-١٢٥٤ ؛ محمد عبد الله عنان ، نهاية الاندلس ،جـ ٤ ،ص ١٦٨ ؛ رجب حراز ،عصر النهضة ،ص ٣٠٩ .

(٣) بانيكار ، نفس المرجع ،ص ٢٤ .

يضاف الى ذلك أن فتح العثمانيين للقسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م وتهديدهم أوربا الشرقية أثر في زيادة روح الكراهية ضد المسلمين بصفة عامة ومسلمي الأندلس بصفة خاصة .[1]

وتوجد رابطة وثيقة بين طرد المسلمين من الأندلس وقيام البرتغاليين برحلات كشفية حول شواطىء أفريقية الغربية . فبعد القضاء على القوى الاسلامية في الأندلس بحث الصليبيون الأوربيون عن طريق آخر يوصلهم الى الأراضي المقدسة في فلسطين غير الطرق المعروفة والمطروقة عبر العالم الاسلامي . ووجدوا صعوبة بالغة في ضرب الاسلام بواسطة الطرق التي استخدمها الصليبيون من قبل ، ففي الشام ومصر كانت تقوم دولة المماليك ، وفي آسيا الصغرى قامت الدولة العثمانية ، وفي شمال افريقية كان يتصدى لهم مجاهدو البحر المسلمين ، وهم عبارة عن قوة اسلامية تكونت للدفاع عن شواطىء شمال افريقية ضد الغارات الصليبية .[2]

---

(١) سعيد عاشور ، نفس المرجع ، ص ١٢٤٩ - ١٢٥٠ ؛ محمد عبد الله عنان ، نفس المرجع ، ص ١٦٨ .

(٢) محمد عنان ، نفس المرجع ، ص ٣٨٣ - ٣٨٥ ؛ عبد العزيز الشناوي ، نفس المرجع ، ص ١١٥ .

اذن فالرحلات الكشفية كانت الوسيلة الفعالة لدى الصليبيين للوصول الى قلب العالم الاسلامي . يضاف الى ذلك أن المدّ العثماني في أوربا ، كان له أثره على حركة الكشوف الجغرافية . فقد فتحت القسطنطينية على يد محمد الثاني (الفاتح) سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، وتردد صدى هذا الفتح في أسبانيا كما تردد في كلّ أنحاء أوربا المسيحية . وازداد الحقد الصليبي ضد المسلمين والخوف الشديد من مداهمة الاسلام لأوربا . وحاولت أوربا القضاء على القوى الاسلامية بكل السبل الممكنة . اذن فان استيلاء العثمانيين على القسطنطينية ، وقيام حركة الكشوف الجغرافية من أسبانيا والبرتغال ، حدثان ارتبط أحدهما بالآخر ، بحيث اهتمت البابوية بكلا الحدثين اهتماما كبيرا ، نظرا لارتباطهما ببعضهما من ناحية الصراع بين المسيحية والاسلام . ومما يبرهن على ذلك أن البابا نيقولا الخامس (ت٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م) الذى أصدر مرسوما يبارك فيه جهود هنرى الملاح الكشفية ، هو نفسه الذى جدّ في توحيد ايطاليا ، وعمل جاهدا على تكوين حلف صليبى ضد الدولة العثمانية للقضاء عليها لولا أن أدركه الموت قبل أن يحقق آماله . كما أن البابا كاليكستوس الثالث ، الذى أصدر مرسوما سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م يؤكد المنحة التي وهبها نيقولا الخامس لهنرى الملاح ، هو نفسه الذى شرّع للنصارى صلاة التبشير (Angelus) التي يطلبون فيها النصر على الاتراك ، كما بذل أقصى جهوده لتأليب

أوربا ضد المسلمين ، وتكوين حلف صليبي هدفه محاربة العثمانيين ، واسترداد القسطنطينية منهم ، والحدّ من خطرهم على أوربا ، بل والقضاء عليهم نهائيا ان أمكن ذلك .[(١)]

وانتشرت في أوربا منذ القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى اسطورة برستر جون Prester John أو القديس يوحنا ، وهي أسطورة أدبية عن بطريرك مسيحي اسمه القديس يوحنا ،أسس امبراطورية مسيحية كبرى في الشرق ،وحكم الهند والصين والحبشة التي كانت تعتبر الجزء الغربي من تلك الامبراطورية . وتحكي الاسطورة أنباء عجيبة عن هذه الامبراطورية ، وملكها المقدس ، وسلطته المطلقة على اثنين وسبعين ملكا في الهند ، وفتوحاته العظيمة ، وثراء بلاده الهائل وأن له استعدادا كبيرا لقتال أعداء المسيح .[(٢)]

بمرور الزمن تطورت هذه الاسطورة ، حتى أضحت فى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى صورة تعبر عن آمال الصليبيين

---

(١) سالم الرشيدى ، نفس المرجع ،ص ١٥٩-١٨٨.

(٢) Tamrat, Ethiopia the Red Sea. in the Cambridge history of Africa, Vol.3.p.p.177– 178 .

محمد البحراوى ، فتح العثمانيين عدن ،ص ٦٣ ؛ عبدالمجيد عابدين ، الحبشة والعرب ،ص ١٦٨ ، ١٦٩.

في تكوين تحالف مع هذا الملك القوى ، لضرب قلب العالم الاسلامي خصوصا بعد ما حققه المسلمون من انتصارات في الشام ومصر على الصليبيين. وأصبحت هذه الأسطورة تنحصر في مملكة الحبشة المسيحية ابان القرن السابع الهجرى (١) ، بعد أن تواترت الأنباء الى أوربا عن ملوك الحبشة الأقوياء ، الذين يحاربون المسلمين المحيطين بهم هناك . وفسر الأوربيون هذه الحروب كجزء من الحروب الصليبية ضد أعدائهم المسلمين (٢) .

ويعتبر البرتغاليون أول من بحث عن امبراطورية " برستر جون " بكل جدية ومثابرة ، وأقاموا اتصالات مع الحبشة قبل نهاية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى (٣) . ففى سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٧ م أرسلت البرتغال بعثتين لاكتشاف موقع امبراطورية برستر جون ، وكان

---

(١) Tamrat. op. cit. p. 179

(٢) هم مسلمى الطراز أو دويلات المدن على ساحل البحر الأحمر التى أحاطت بالحبشة وبالأخص على عهد الاسرة السليمانية التي اسسها " يكنوا ملاك" عام (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) . وقام ملوك هذه الاسرة باضطهاد المسلمين من حولهم وشنوا عليهم حروبا عديدة أحرزوا فيها انتصارات كثيرة .

انظر دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الحبشة .

(٣) Tamrat. op. cit. p. 179- 180 ;

عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ص ١٦٩ - ١٧٠.

ذلك قبل ثلاثة أشهر من بداية رحلة " بارثلميوديياز " حول رأس الرجاء الصالح . وكان أحد هذين المبعوثين يدعى بيرودى كوفيلهام Pero de Covilham واستغرقت رحلته سبع سنوات . ثم بعثت البرتغال بعد ذلك بالقسيس البرتغالى جواجوميز Joho Gomez لنفس المهمة .[1]

وتبع هذه البعثات الكشفية ، جهودا بحرية كبيرة قام بها البرتغاليون ، للالتفاف حول أفريقية بقصد الاتصال بهذا الملك . ووصل بهم الأمل الى حد تحويل سكان الحبشة من المذهب الأرثوذكسي الى المذهب الكاثوليكي ، بالاضافة الى تحويل سكان الهند المسلمين والوثنيين الى المسيحية .[2] وكان الغرض الرئيسي لرحلة بارثلميوديياز هو ايجاد مملكة القسيس برستر جون ، والاتصال به فى ساحل افريقية الشرقي .[3] وشرح المؤرخ البرتغالي سوزا Sousa هذا الهدف بقوله : " كان الملك يحدوه الأمل بتنفيذ ما بدأ القديس توماس،[4] وزرع الديانة المسيحية في تلك البلاد ".[5] وسنرى فيما بعد كيف استطاعت البرتغال توطيد

---

(١) Tamrat. op. cit. p. 180.

(٢) عبد العزيز الشناوى ،نفس المرجع ،ص ١١٠ .

(٣) يسرى الجوهرى ،الكشوف الجغرافية ،ص ١٣١ .

(٤) تذكر اسطورة برستر جون أن القديس توماس هو أول من نشر المسيحية فى الهند ،انظر عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ، ص ١٦٨ .

(٥) Sousa . op. cit. Vol. (1).p. 63 .

علاقتها مع الحبشة ضد المسلمين .

وللأمير هنرى الملاح دور هام في حركة الكشوف الجغرافية، ويعتبر هنرى الملاح- الابن الثالث للملك جون الأول ملك البرتغال (١٣٩٤ - ١٤٦٠م) - محاربا صليبيا من الدرجة الأولى ، له سيرة حافلة بحروبه ضد المسلمين في شمال افريقية . واشتهر هنرى الملاح بكراهيته الشديدة للمسلمين واعتبر ملاحقتهم واجبا دينيا مقدسا .[١] فقد نشأ هنرى في دير من الأديرة الأسبانية وتشرب تعاليم الكنيسة ، وبغضها المرير للاسلام والمسلمين ، كما ترأس بعد ذلك طائفة الرهبان اليسوعيين (الجزويت)[٢] . ونظرا لكثرة أموال طائفة الرهبان ، فقد انشأ هنرى مدرسة بحرية ، ومرصدا في قلعته على رأس ساجرس Sagres في الطرف الجنوبى لشاطىء البرتغال . وجلب هنرى الى قلعته علماء الرياضيات ورسامي الخرائط والفلكيين ، وقد استعان أيضا بأسرى المسلمين الذين لهم دراية كبيرة بشئون الفلك والبحر والأسفار الطويلة والجزر البعيدة. وبذل جهودا كبيرة في تحسين بناء السفن من حيث الحجم والقوة والمتانة .[٣]

---

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٥ ؛ محمد البحراوى ، نفس المرجع ص ٥٦-٥٧

(٢) Macgregor, Europ and the East, in The New cambridge Modern History. Vol.(2) .p. 591 .

(٣) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٥-٢٦ ؛ السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ٣١٤-٣١٥ ؛ شيني ، تاريخ العالم الغربى ص ١٧٥ .

وفي عهد هنرى الملاح اكتشفت جزر ماديرا Madeiras سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م ،وجزر آزورس Azores فى سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م وعبر بحارته رأس بوجادور Bojador في سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م حتى وصلت الرحلات البرتغالية الى ساحل جامبيا والسنغال .(١)

وفى عام ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م تلقى هنرى الملاح التأييد الروحي من البابا نيقولا الخامس الذى أصدر له مرسوما يبارك فيه جهوده في هذا المجال . وقرر البابا في مرسومه أن للأمير هنرى الحق في جميع البلدان التي يكتشفها حتى الهند ،ودعاه لأن يدخل في الكاثوليكية أعداء المسيح جميعا . وفى عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م تلقى هنرى الملاح مرسوم البابا كاليكستوس الثالث ، الذى يؤكد فيه ماجاء في مرسوم نيقولا الخامس ، وبذلك وجد هنرى الدوافع القوية لمواصلة جهوده لتحقيق غايته الهامة ، وهى مهاجمة الاسلام من الخلف ، والقضاء عليه في كل من آسيا وأفريقية .

ويلاحظ أن هذه العوامل الدينية كلها هي عوامل متداخلة مترابطة يصعب الفصل بينها ، ولكن النتيجة الهامة لهذه الدراسة، هي أن العامل الدينى كان هو رائد البرتغاليين في حركة كشوفهم الجغرافية .

---

(١) يسرى الجوهرى ، نفس المرجع ،ص ١٢٨-١٣٠ ؛ شيني ، نفس المرجع ،ص ١٧٦ .

أما عن العوامل الاقتصادية التي أدت الى قيام حركة الكشوف الجغرافية فتلي العوامل الدينية . ولا شك أن الموقع الجغرافي الذى تتميز به البرتغال جعلها مؤهلة للقيام بمهمة الكشف والإرتياد البحرى ، وذلك لأنها تطك شواطىء طويلة على المحيط الأطلسي بالإضافة الى أن لشبونة أصبحت في القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى ،ومستودعا لتجارة الشرق وهي في طريقها الى أوربا .(١)

يضاف الى ذلك أن البرتغال كانت سباقة الى الاتصال بالمدينتين التجاريتين في ايطاليا : جنوه والبندقية ، واستفادت كثيرا من خبراتهما في فن الملاحة . فقد تعلم البرتغاليون من سكان هاتين المدينتين كيفية بناء السفن الكبيرة التي تصلح للمحيطات ، والتي تتميز بالمتانة والقوة . واشترى دون بدرو Don Pedro البرتغالي نسخة من كتاب رحلة ماركو بولو من مدينة البندقية ،وأهداها الى أخيه الأمير هنرى الملاح ، المشهور بتشجيعه لحركة الكشوف البحرية .(٢)

---

(١) بانيكار ،نفس المرجع ،ص ٢٤ ؛ عبد العزيز الشناوى ،نفس المرجع ، ص ١١٩ .

(٢) فيشر ،اوربا العصور الوسطى ،جـ ٢ ،ص ٤٦٢-٤٦٣ ؛ عبد العزيز الشناوى ، نفس المرجع ،ص ١١٥ ؛ السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ٣٠٦ .

وعن طريق الاتصالات بهاتين المدينتين التجاريتين ، عرف البرتغاليون قصصا عن الشرق ، تحكي عن ثرائه وحضارته الراقية ، وأسعار التوابل وكثرتها هناك . وشاهد البرتغاليون أيضا مدى ثراء البنادقة والجنويين ، نتيجة احتكارهم نقل السلع الشرقية من موانيء مصر والشام الى أوربا . وعرف البرتغاليون أيضا مدى سيطرة المسلمين على كل الطرق التجارية المؤدية الى الشرق . فالعالم الاسلامي بموقعه الفريد بين الشرق والغرب ، أصبح المحتكر الوحيد لتجارة الشرق ، واستفادت موانئه ومدنه التجارية من الضرائب المفروضة على هذه المتاجر . وأدرك البرتغاليون أن التجارة هي أحد أسباب قوة عدوهم ، لذلك رأوا ضرورة القضاء على احتكار المسلمين للتجارة الشرقية ، وخاصة التوابل وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي ، ألا وهو القضاء على الاسلام والمسلمين . وهكذا سخّر البرتغاليون العامل الاقتصادى أيضا لتحقيق الغرض الدينى .(١)

وكانت للتوابل - وخاصة الفلفل - في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين أهمية كبيرة في أوربا نظرا لحاجة الطبخ الأوربى لها . وازدادت قيمة التوابل بشكل كبير ، حتى أصبحت توازى أسعار الأحجار الكريمة ، وأصبح كثير من التجار الأوربيين المشتغلين فى تجارة التوابل

---

(١) محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٥٤-٥٦ ؛ أحمد دراج ، نفس المرجع ، ص ٨٤-٨٥ ؛

Macgregor. op. cit.p. 592 .

أو البهــــار من أعظم الأثريـاء . [1] ومما أدى الى زيادة أسعار هذه السلــع في أوربا الرسوم الجمركية الباهظة ، التى كانت تفرضها الــدول الاسلاميـة في مصر والشام وفارس ،لتحكّمها في الطرق المؤدية الى الهنـد والشرق الأقصى ، مصدر تجارة التوابل .

وكانت دولة المماليك ـ على سبيل المثال ـ تفرض رسوما عاليــــة عند وصول التوابل الى السويس ، وعند اعادة شحنها في الاسكندرية حـتي وصل ثمن حمل الفلفل في الاسكندريـة الى ١٢٠ أو ١٣٠ دينارا ، وما أن تصل هذه التوابل الى أوربا ،حتى يكون ثمنها قدزاد أضعافـــــا مضاعفـة . [2]

وأشار المؤرخ زين الدين في القرن العاشر الهجرى ، الى الدوافع الاقتصادية لوصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي بقوله :"وسبب وصولهم الى مليبار ، على ما يحكي عنهم طلب بلاد الفلفل ليختـــص تجارته بهم ، فانهم ماكانـوا يشترونه الا من الـّذين يشترونه ، ممـــن

---

(١) بانيكار ،نفس المرجع ،ص ٢١ .

(٢) احمد دراج ، ايضاحات جديدة ، مجلة الجمعية المصريـــــة للدراسات التاريخية ،عدد عام ٦٧/ ٦٨م ،ص ٢٢٠ ؛ بانيكـــار نفس المرجع ، ص ٢٢-٢٣ ؛ شارل ديل ،البندقيــة ، صـــ ١٤٥-١٤٦ .

يجلبونه من مليبار بوسائط ".[1]

والى جانب العوامل الدينية والاقتصادية ،هناك عوامل أخرى أدت الى الكشوف الجغرافية ، ووصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي ، ومن هذه العوامل الرغبة في زيادة المعلومات الجغرافية. ففي عصر النهضة الأوربية أطلع البرتغاليون على مجهودات العلماء المسلمين في ميدان الملاحة والفلك ، كما أنهم ورثوا مظاهر الحضارة الاسلامية في الاندلس بعد طردهم المسلمين منها ،وعنهم عرف الأوربيون البوصلة والاسطرلاب .

ووجد البرتغاليون أن مجالهم البحرى يتصل كثيرا بافريقية وبالمحيط الاطلسي . وكانت المعلومات الجغرافية عنهما شبه مجهولة ، وتغلب عليها الخرافات والاساطير ، فكان يقال مثلا بأن ساحل افريقية الغربي خال من السكان ، وأنّ الرجل الأبيض عندما يصل الى منطقة معينة من الشاطىء الافريقي يتحول الى اللون الأسود من شدة الحرارة ، وأن الملاحة مستحيلة كلما توغل الانسان في الشاطىء الإفريقي ، وأنّه لا يمكن الطواف حول إفريقية من ناحية الجنوب نظرا لإلتصاقها بالقطب الجنوبي.[2]

---

(١) زين الدين ، تحفة المجاهدين ،ص ٣٧-٣٨ .

(٢) عبد العزيز الشناوى ، نفس المرجع ،ص ١١٧-١١٨ ؛ السيد رجب حراز ، عصر النهضة ،ص ٣١٢ .

ودفع هذا البرتغاليين للتحقق من مدى صحة هذه الآراء وامكان الالتفاف حول افريقية ، للوصول الى الهند بعد أن تأكدوا تماما من كروية الأرض ، إثر تحررهم من النظريات اليونانية القديمة ، والفضل في ذلك يرجع لعلماء المسلمين .(١)

°°°

(٢) فضل البحارة العرب في كشوف البرتغاليين

°°°

وتؤكد المصادر والمراجع التاريخية فضل البحارة العرب في كشوف البرتغاليين . فقد عرف العرب ركوب البحر منذ أقدم العصور ، وبعد ظهور الإسلام ركبوه للجهاد والتجارة ، واستخراج كنوز البحر الممثلة في مصايد اللؤلؤ في الخليج العربي .

---

(١) فيشر ، نفس المرجع ، ص ٤٦٢-٤٦٣

وعندما اتسعت الدولة الإسلامية من أوربا غربا الى بلاد الصين شرقا كثرت رحلات المسلمين البحرية . وساهمت هذه الرحلات كثيرا ، في تطوير علم الجغرافيا ،وتصحيح كثير من آراء اليونان الخاطئة حول تصورهم للعالم [(١)] . ووضع المسلمون خرائط بحرية ، للارشاد الملاحي ،واخترعوا البوصلة البحرية والاسطرلاب ،

يقول مايلز Milles ، " فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تؤمن بأن الأرض مسطحة وكانت على أتم الاستعداد لأن تحرق كل من يخالف ذلك ، كان العرب يدرسون الجغرافيا باستخدام الكرات الأرضية " [(٢)] .

ومن أشهر العلماء والرحالة المسلمين الذين جابوا العالم المعروف آنذاك : المسعودى (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) والأدريسي الأندلسي (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) الذى قام برحلات عديدة مابين آسيا والساحل الغربى لإنجلترا ، وقضى في صقلية مدة خمسة عشر عاما ،فى التأليف ورسم الخرائط والدرس والبحث ، وقام بدور المعلم لأوربا فى تلك الفترة [(٣)] .

---

(١) هونكه ،شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٤١٨ ؛ أنور عبد العليم ابن ماجد الملاح ص ٣٠-٣٣ .

(٢) Milles. op. cit. p.p. 363 - 364.

(٣) هونكه ،نفس المرجع ،ص ٤١٨ - ٤٢٠ ؛ جلال مظهر ،مآثر العرب على الحضارة الأوربية ،ص ١٧٠ ؛ غوستاف لوبون ،حضارة العرب ،ص ٤٧٠

ومن الرحالة المسلمين ابن جبير صاحب " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " المتوفى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م ، وابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) الذى استمرت رحلته أربعة وعشرين عاما ، دونها في كتابه المشهور " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار".

ولا نكون مبالغين اذا قلنا بأن أوربا قد أخذت المعلومات الجغرافية الخاضعة للتجربة والمحققة من علماء المسلمين لا من غيرهم بأى حال من الأحوال .[1] ومما يؤيد ذلك قول ابن ماجد في كتابه " الفوائد " عن أهمية منهج التجريب : " ولم نستفد في زماننا هذا شيئا له صحة كعلومنا وتجاربنا واختراعاتنا التي في كتابنا هذا ، لأنها مصححة مجربة وليس على التجريب شيء أحسن منه "[2] ، وقول سليمان المهرى :

---

(١) هونكه ، نفس المرجع ، ص ٤١٧ - ٤٢٠ ، غوستاف لوبون نفس المرجع ، ص ٤٣٥ ، سيديو ، تاريخ العرب العام ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٩ .

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ١٦ .

" أصل علم البحر انما هو مستخرج من نظر العقل مع التجربة " .[1]

وقد كان لليهود دور كبير في نقل المعلومات الجغرافية العربية الاسلامية الى المسيحيين في الأندلس ، فقد استعان ملك قشتالة " الفونس العاشر " Alfons X (١٢٥٢م-١٢٨٤م) بخبرة اليهود - الذين تلقوا علومهم عن العرب - في جمع معلومات ومعارف العرب الفنية في مجال الفلك ،[2] وبعد أن طرد المسلمون من الأندلس كان لليهود الدور الكبير في ترجمة التراث العربي الاسلامي الى اللغة الاسبانية وخصوصا في مدينة طليطلة .[3]

وأما البرتغاليون فقد أجهدوا أنفسهم في التعرف على علوم العرب الملاحية قبل أن يقدموا على مغامراتهم في الشاطئ الافريقي. واستعانوا في هذا الشأن باليهود كجواسيس وتراجمة ، بعد أن طردتهم أسبانيا عام ٨٩٨هـ/١٤٩٢م ، فالتجأوا الى البرتغال آخذين معهم علوم العرب

---

(١) سليمان المهرى ، شرح تحفة الفحول ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٢) هونكه ، نفس المرجع ، ص ١٣٦ .

(٣) هونكة ، نفس المرجع ، ص ٥٣٢ .

الملا حية وخرائطهم وجداولهم الفلكية ، وكانوا قد ترجموها الـــــى العبرية واحتفظوا لأنفسهم بأسرارها . وكان لهذه العلوم الاسلامية أكبر الأثر في تقدم البرتغاليين في مجال الرحلات الكشفية.[1]

ولم يقتصر دور اليهود على النقل والترجمة ، وانما استخدمتهم البرتغاليون كجواسيس لهم في المشرق ، لتزويدهم بأحدث المعلومات البحرية في الملاحة والفلك ، نظرا لاتقانهم اللغة العربية ، ففي سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م على سبيل المثال ، أى قبل رحلة فاسكودى جامابعشر سنوات ـ قام جواسيس اليهود برحلة الى مصر ، ومن هؤلاء الفونسو دى بايفا ، وبيرو دي كوفيلهام ، وكان الغرض من رحلتهم ،هو جمع المعلومات فيما يتصل بتجارة التوابل والبحث عن مملكة برستر جون.[2] وقد واصل الجواسيس اليهود سفرهم الى عدن ثم الهند للحصول على معلومات وخرائط عن المحيط الهندى . وفى أثناء عودتهم الى البرتغال التقوا في القاهرة ببعثة يهودية أخرى ،فانضمت البعثتان الى بعضهما ، وواصل اليهود السفر الى هرمز وشرق افريقية والحبشة، ثم عاد بعضهم

---

(١) أنور عبد العليم ، نفس المرجع ،ص ٤٢ - ٤٤ ؛ جلال مظهر نفس المرجع ،ص ٤٦ .

(٢) لوريمر ،دليل الخليج ،جـ ١ ،ص ١٠-١١ ؛ عبد العزيز الشناوى ،نفس المرجع ،ص ١٢٠ ؛ محمد البحراوى ، نفس المرجع ،ص ٥٧-٥٨ ؛
Tamrat. op. cit. p.p. 179- 180 .

الى مصر ، فالبرتغال حاملين معهم خارطات عربية ومعلومات تفصيلية عن المحيط الهندى .(١)

وقد تعلم البرتغاليون استخدام آلات الملاحة من العرب ،وخاصة البوصلة البحرية والاسطرلاب . أما بالنسبة للبوصلة فرغم أن أكثر المؤرخين يتفقون على أن الصينيين هم أول من تعرف على خواص الابرة المغناطيسية ، وأنها تشير دوما الى الشمال ، فانهم يجمعون على أن أول من استخدمها عمليا في البحار وفي الاستدلال على القبلة هم المسلمون .(٢) ومن واقع تجاربهم العملية أثناء رحلاتهم الكثيرة ، أضاف المسلمون الى الابرة المغناطيسية ما يعرف باسم " وردة الرياح " لمعرفة اتجاه الريح ، ومصدر هبوبها عند معرفة جهة واحدة من الجهات الاصلية . وانتقل هذا الاختراع الفريد الى أوربا ، عن طريق التبادل التجارى في البحر المتوسط ، بواسطة البنادقة والجنويين ابان الحروب الصليبية ، وأيضا عن طريق الأندلس .(٣)

---

(١) لوريمر ،نفس المرجع ،ص ١٠-١١ ؛ عبد العزيز الشناوى ، نفس المرجع ،ص ١٢٠ .

(٢) Milles. op. cit. p. 369 ;
هونكه ،نفس المرجع ،ص ٤٧-٤٨ ؛ أنور عبد العليم ، نفس المرجع ص ٣٤-٣٥ ؛ جاك ريسلر ، الحضارة العربية ، ص ١٩١ .

(٣) هونكه ، نفس المرجع ،ص ٤٧-٤٨ ؛ أنور عبد العليم ،نفس المرجع ص ٣٥-٣٨ .

أما الاسطرلاب فهو آلة قياس ارتفاع الشمس والنجوم ، وعمل البحارة العرب والمسلمون على تطويره ، وألفوا في استعمالاته الكتب الكثيرة .

وهناك أيضا آلات استخدمها المسلمون في الملاحة ،وأخذها عنهم البرتغاليون والأسبان ، منها ربع الدائرة (الكوادرنت Qudrant)[1] . كما وضع المسلمون الخرائط والجداول الفلكية وخطوط العرض والأزياج .[2]

وبعد أن اجتاز البرتغاليون رأس الرجاء الصالح ، احتكوا بالخبرة العربية المتطورة ، والمتجددة ، في مجال البحار ، فقد

---

(١) عبد العزيز الشناوى ، نفس المرجع ، ص ١٢٣-١٢٤ ؛ أنور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٣٣-٣٥.

(٢) الازياج : مفردها زيج وهو جدول يستدل به على حركة الكواكب السيارة حول الشمس لتقويم مواقعها ، انظر طاشكبرى زادة ، مفتاح السعادة ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ؛ انظر أيضا دائرة معارف بطرس البستاني ، مادة الزيج .

استعانوا بالمرشدين والملاحين العرب لارشادهم الى طريق الهند .
ورغم أن البوصلة والاسطرلاب ، قد وصلا الى البرتغاليين عن طريق
المسلمين ، الا أنهم لم يعلموا بما طرأ على تلك الآلات من تجديدات
مستمرة ، والدليل على ذلك الدهشة العظيمة التى أصابت فاسكو
دى جاما ، عندما رأى الآلات التي يستخدمها أحمد بن ماجد على
سفينته (١) .

٥٥٥

(٣) جهود بارثلميوديار وفاسكو دي جاما في كشف طريق الرجاء الصالح

٥٥٥

ويرجع الفضل فى كشف طريق رأس الرجاء الصالح ووصول
البرتغاليين الى الهند والخليج العربي الى جهود كلا من

---

(١) قدرى قلعجي ، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ .

بارثلميو دياز ، وفاسكو دى جاما .

فقد ارتبط اسم بارثلميو دياز Barthelemu Diaz بكشف طريق رأس الرجاء الصالح . وجاءت رحلته المشهورة متوجة لجهود سنين عديدة في محاولات ارتياد الشاطئ الغربي لافريقية . ففي عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢ م - بعد وفاة هنرى - الملاح - وصل الرحالة البرتغاليون الى خليج غانة ، كما أنهم وصلوا في عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥ م الى رأس كاترين Cape Catherine على خط عرض ٢° جنوبا . وقد سبقت رحلة دياز رحلتان تمهيديتان قام بهما ديجو كام Diego Cam الذى وصل الى مصب الكونغو عند رأس سانت مارى St, Mary ، ثم واصل تقدمه حتى رأس مونت نجرو Monte negro ، ثم رأس كروس Cape Cross (١)

وقد تمت رحلة بارثلميو دياز في عهد ملك البرتغال " جون الثاني " (١٤٨١ م - ١٤٩٥م) الذى كان متلهفا لعقد تحالف مع برستر جون (٢) .

---

(١) يسرى الجوهرى ، نفس المرجع ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١٠ - ١١ .

رحل دياز من لشبونة سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧ م ، وسار بمحاذاة الشاطئ الغربي لإفريقية ، فوصل الى خليج والفيش Walfish ونظرا لقوة التيارات البحرية التي تدور حول افريقية ، عمل دياز على تفاديها بالاتجاه الى الجنوب ، حتى وصل الى نطاق الرياح الغربية ثم اتجه شرقا ، فشمالا ، الى خليج موسل Mosel Bey .[1]
وهناك لاحظ دياز أن الساحل الافريقي قد أصبح على الجانب الأيسر من سفنه ، فأدرك أنه عبر جنوب افريقية ، وأنه يسير بمحاذاة الساحل الشرقي لافريقية .[2]

ولم يستطع دياز المضي في رحلته لأنه واجه تمرداً خطيراً من بحارته ، فقطع الرحلة وعاد الى لشبونة ، فوصلها عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨ م مارا بمنطقة الكاب (الرأس) ، بعد أن أطلق عليه اسم رأس العواصف Cabo Tormentoso ثم سمي بعد ذلك تفاؤلا باسم رأس الرجاء الصالح[3] Cabo da Boa Esperanca

---

(١) يسري الجوهري ،نفس المرجع ،ص ١٣١ .
(٢) عبد العزيز الشناوي ، نفس المرجع ،ص ١٢١
(٣) السيد رجب حراز ،عصر النهضة ،ص ٣١٦ ؛ شيني ،نفس المرجع ، ص ١٧٧ ؛ يسري الجوهري ،نفس المرجع ،ص ١٣١-١٣٢ .

وبعد مضي عشر سنوات ، جاء دور فاسكو دي جاما Vasco de Gama ليتمم ما بدأه بارثلميو دياز في اجتياز " رأس الرجاء الصالح " ، والوصول الى شرق افريقية والهند . وقد تمت رحلته في عهد ملك البرتغال مانويل الثاني Manual II (١٤٩٥م - ١٥٢١م)[١].

بدأ دي جاما رحلته من لشبونة في عام ٩٠٣ هـ (٨ يوليو ١٤٩٧م) مع أربع سفن تضم مابين ثمانية عشر ومائة الى خمسين ومائة بحارا . وزودت هذه السفن بالأجهزة الخاصة بالملاحة كما زودت بالخرائط اللازمة والكتب[٢] . ووصل فاسكو دي جاما الى جزر الرأس الأخضر Cape Verde وهناك مكث أسبوعا للتزود بالمؤن . وفي ٨ أغسطس أبحر دي جاما متجها الى الجنوب الغربي . وفي ٤ نوفمبر رأى مع بحارته اليابسة ، ورسوا عند خليج أطلقوا عليه اسم خليج القديسة هيلينا St, Helena Bey حيث قضوا ثمانية أيام . ثم أبحروا مرة أخرى ، وعبروا رأس الرجاء

---

(١) انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٤٦ .

(٢) يسري الجوهري ، نفس المرجع ، ص ١٣٢ ؛ انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٤٧ ؛ شيني ، نفس المرجع ، ص ١٧٧ .

الصالح . وفي يناير ١٤٩٨ م فقد دي جاما احدى سفنه شمال الناتال Natal نتيجة العواصف الشديدة . ثم واصل الملاحة شمالا حتي ثغر سفالة وقرب نهر كليمانسي Kilimani رسوا لمدة شهر كامل للتموين واصلاح السفن.[١]

ثم أبحر فاسكو دي جاما مرة أخرى لمدة خمسة أيام فوصل الى موزامبيق ، ورحب بهم ملكها في بادئ الأمر ظانا بأنهم أتراكا أو مغاربة . فلما عرف أخيرا بأنهم مسيحيين وغرباء على الشاطئ الافريقي أوقف التعامل معهم ، وبدأ الشك يساوره من ناحيتهم .وحدثت بعض المناوشات بين سكان المدينة والبرتغاليين ، فقصف البرتغاليون المدينة ، ودمروا قسما منها ، مما خلف لدى سكان الساحل انطباعا مبكرا عن وحشية القادمين . ثم استخدم البرتغاليون مرشدين لهم بعد أن دفعوا لكل منهما ثلاثين مثقالا من الذهب .[٢]

---

(١) Bell, portugal and the Quest. p.p.203-206; يسرى الجوهرى ،نفس المرجع ،ص ١٣٢-١٣٣ ؛ أنور عبد العليم، نفس المرجع ،ص ٤٧.

(٢) Serjeant, op.cit. p.p.13- 14; Bell, op.cit.p.p. 207-209 ; Macgregor, op. cit.p. 594.

وفي ١٠ مارس ١٤٩٨م أبحر البرتغاليون بقيادة فاسكودي جاما وبعد جهد شاق ومقاومة للعواصف التي كادت أن تحطم السفن ، وصلوا اليها في السابع من ابريل ، ولكنهم لم يجدوا ترحيبا من الحاكم والأهالي ، فأبحروا فورا الى ماليندى فوصلها دي جاما حذرا ، من تكرار ما حدث في موزامبيق وومباسا .

ولما لمس دي جاما الترحيب البالغ من سلطانها شرح له حاجته الى دليل في المرحلة الأخيرة من رحلته الى الهند ، فوافقه على ذلك ، ولكنه تأخر في ارسال هذا الدليل ، فانتهز دي جاما فرصة ارسال السلطان مبعوثه اليه ، فاحتجزه وأرسل يساوم السلطان على أنه سيبقي الرسول رهينة لديه حتى يصل الدليل . وفعلا أرسل اليه البحار والعالم الفلكي أحمد بن ماجد .[1]

وابن ماجد هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو ابن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن الحسين بن أبى معلق

---

(1) Bell, op. cit. p.p. 209 -212; Serjeant, op. cit. p.p. 13- 14;

أنور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٤٧ - ٤٨ .

السعدي بن أبي الركائب النجدي ، ولد فى " جلفار " من الخليج العربي (وهي رأس الخيمة اليوم) .[1]

لقبه " بأسد البحر " و " رئيس علم البحر " و " رابع الليوث ".[2]
ولم تطلق عليه هذه الألقاب عبثا ، فهو لم يكن مجرد بحار فقط أو دليل أو مرشد ، بل هو عالم في الفلك وعلوم البحار . مارس مهنته أكثر من نصف قرن على أساس علمى . وكان المحيط الهندى والخليج العربي والبحر الأحمر ميدان نشاطه الكبير . فقد جاب الهند والسيام والزنج وفارس والسند والحجاز واليمن وهرمز .[3]

وقصة ارشاد ابن ماجد لفاسكودي جاما قصة فريدة ، تدل أكثر

---

(١) قدرى قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٣٥٣ ؛ دائرة المعارف الاسلامية مادة شهاب الدين .

(٢) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ١٠ ؛ ثلاث أزهار ، الدراسة التاريخية للمحقق شوموفسكي ، ص ٨٩ .

(٣) ابن ماجد ، كتاب الفوائد ، ص ٣ ؛ ثلاث أزهار الدراسة التاريخية للمحقق ، ص ٨٩ .

ما تدل على قلة الخبرة الأوربية في مجال علم البحر والفلك في القرن العاشر الهجري ، كما تدل على عظم قدر المسلمين في علوم البحار ، رغم التفكك السياسي وقتذاك .

وتتفق المصادر التاريخية على أن فاسكو دي جاما بعد أن عبر رأس الرجاء الصالح ، ألقى مراسيه في ماليندي على الشاطيء الشرقي لأفريقية . وهناك بحث عن دليل ليرشده الى الهند ، لعدم معرفته بنظام هبوب الرياح الموسمية ، في شرق أفريقية والمحيط الهندي . وقد أدى ذلك الى تحطيم بعض سفنه ، وفي ذلك يقول ابن ماجد في ارجوزته السفالية :(1)

زلوا بها الأفرنج غلق الموسم	في عيد ميكال بالتوهم
قام عليهم موج تلك الروس	في سفالة بقي معكوس
وانقلبت أدفالهم في الماء	السفن فوق الما يا خائي
غرقى يرون بعضهم بعض	وكن عارفا موسم تلك الارض (2)

---

(١) ابن ماجد ، ثلاث أزهار ، ص ٤٠

(٢) يقصد بتلك الارض : سفالة في ساحل شرق افريقية .

وقد عرف الكتاب البرتغاليون في القرن العاشر الهجرى/السادس عشر الميلادى ، ابن ماجد باسم " ماليما كاناكوا " أو " ماليمو كانا " وهو التحريف للقبه العربي الذى يعني " المعلم الفلكي " .(١)

وقد عرض فاسكودي جاما على ابن ماجد آلاته البحرية المستخدمة عند البرتغاليين ، ولكن ابن ماجد لم يدهش لها ، بل عرض عليه الآلات البحرية التي طورها العرب ، منها آلات مثلثية ومربعية الشكل لقياس ارتفاع الشمس ، وخصوصا النجم القطبي . كما أراه خرائط تفصيلية للمحيط الهندى وشرق أفريقية والجزيرة العربية قائمة على خطوط طول وخطوط عرض متوازية ، وهو شيء لم يعرفه الأوربيون آنذاك . كل هذا أدهش فاسكودي جاما ، وازداد اعجابه بمرشده الملاحي ، فقرر الرحيل معه فورا .(٢)

وفي ٢٤ ابريل ١٤٩٨م ، أبحروا الى الهند ، وبعد ثلاثة وعشرين يوما ، وفي ١٨ مايو وصلوا كاليكوت على الساحل الغربي للهند .

---

(١) Bell. op. cit. p.p. 215- 216 .

(٢) انور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٢-٥٤ ؛ عبدالعزيز الشناوى نفس المرجع ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ؛
Bell. op. cit. p.p. 216- 217.

هذه باختصار قصة ابن ماجد مع فاسكو دي جاما ، أما الأثر الذى تركته هذه الحادثة ، والنتائج التي ترتبت على هذا الارشاد ، فهو مالم يكن في حسبان ابن ماجد حيث اتهمه المؤرخون المسلمون ، بعدة اتهامات بعد أن ظهرت نوايا البرتغال الحقيقية في الشرق والمصائب التي وقعت على المسلمين بسببهم .

يقول المؤرخ المسلم المعاصر قطب الدين النهروالي في كتابه " البرق اليماني " : " فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنج وكان يقال له (الا ملندى) وعاشره في السكر، فعلمه الطريق في حال سكره ،وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ،وتوغلوا في البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم فكثروا في بحر الهند " .(١)

غير أن ما ذكره النهروالي عن شخصية ابن ماجد يجب أن يؤخذ بكثير من الحذر ، فيبدو أن ابن ماجد كان رجلا متدينا ، خاصة وأنه رجل عاصر المخاطر والمهالك في البحر ، فلابد أن قلبه كان دائما مع الله عز وجل . ونلمس فى كتاباته روح التدين العميق مثل قوله :

---

(١) النهروالي ، البرق اليماني ،ص ١٨ - ١٩ .

" وينبغى للمعلم [1] أن يكون .... عدلا ، تقيا ، لا يظلم أحدا ، مقيما على طاعة الله ، متقيا الله حق اتقائه تعالى " . [2]

يضاف الى ذلك أنه من المستبعد أن يصدق فاسكو دي جاما كلام رجل عاقره الخمر وهو مقدم على شيء مجهول بالنسبة له يخاف مخاطره ، بل الأصوب أن يأخذ بكلام رجل عالم ذكي يثق بنفسه ، وقد وثق به فاسكو دي جاما .

والأرجح أن يكون ابن ماجد قد رضي أن يرشد أسطول دي جاما الى الهند ، بعد أن كلفه بذلك ملك ماليندي ، واعتبر ابن ماجد ذلك تكريما له . [3] كما أن التفكك السياسي الذى أصاب المسلمين فى ذلك الوقت ساعد البرتغاليين كثيرا فى تنفيذ أهدافهم ، ولا يمكن أن نلقي اللوم على شخص واحد هو ابن ماجد .

---

(١) يقصد بالمعلم ربان السفينة أو قائدها .

(٢) ابن ماجد ،كتاب الفوائد ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣) انور عبد العليم ،نفس المرجع ،ص ٥٢ - ٥٣ .

وكيفما كان الأمر ، فقد بقي فاسكودي جاما ثلاثة أشهر في كاليكوت تبادل فيها المحادثات والهدايا مع حاكم الثغر ،وأظهر له النوايا الحسنة، والرغبة في التجارة فقط .(١)

ويذكر زين الدين في تحفة المجاهدين ،خبر رحلة فاسكو دي جاما الأولى فيقول : " ان ابتداء وصولهم الى مليبار كانت سنة أربع وتسعمائة من الهجرة النبوية ، وصلوا الى فندرينه في ثلاث مساريات بعد أنقطاع موسم الهند ، ثم خرجوا منها الى بندر كاليكوت في طريق البر ، وأقاموا فيها شهورا يتعرفون أخبار مليبار وأحوالهم ، ولم يشتغلوا بالتجارة ، بل رجعوا الى بلدهم برتكال " .(٢)

وفي أغسطس عام ١٤٩٨ م رحل دي جاما الى البرتغال ، فوصلها في سبتمبر سنة ١٤٩٩م واستقبلته لشبونة استقبال الفاتحين المظفرين .

أما عن رحلة فاسكو دي جاما الثانية فقد تمت في عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م وفي هذه الرحلة أخذ فاسكو دي جاما في تطبيق الأهداف الصليبية عمليا ، فقد تلقى أمرا صريحا من حكومته ، بأن يقوم باغلاق مدخل البحر

---

(١) عبد العزيز الشناوي ،نفس المرجع ،ص ١٢٤ - ١٢٥ ؛ بانيكار، نفس المرجع ،ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) زين الدين ،تحفة المجاهدين ،ص ٣٦ - ٣٧ .

الأحمـر الجنوبي ، ومنع أية سفينة من دخول ذلك البحر أو الخـروج منـه .[١]

وقبل قدومه الى الشرق في رحلته الثانية ، كانت البعثات البرتغالية قد سبقته في اقامة أول المحطات والمراكز في طريق الهند . فبعد سنة واحدة من عودة دى جاما من الهند من رحلته الأولى ، أرسلت بعثـة سنـة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م ، بقيادة ديوجو دياز Diego Diaz وبعد عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح ووصولهم الى شرق أفريقيـة احتلوا جزيرة مدغشقـر ، واستولوا على كثـير من مدن ساحل شـرق أفريقيـة ، وفرضوا سيطرتهم عليه مثل موزمبيق وسفاله ، مستخدمـين البنادق والمدافع مما سهل مهمتهم كثـيرا .[٢]

وفي أواخر نفس السنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠ م ، أمر ملك البرتغال مانويل بتجهيز حملـة أكبر وأقوى هدفها انشاء مركز تجارى على ساحل الهنـد .

---

(١) Sousd, op. cit. Vol.(1).p.p.63-64;
نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٤٤-١٤٥ ؛ شارل ديـل ، نفس المرجع ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .
(٢) أنور عبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٥ .

وكانت الحملة بقيادة الفاريز كابرال Alvarez Cabral وتألفت من ثلاث وثلاثين سفينة وألف وخمسمائة رجل[١]. وحدث أن تحطمت معظم السفن ، عند اجتياز رأس الرجاء الصالح ، ولم تصل الى كاليكوت سوى ست سفن فقط[٢]. وهناك تفاوض البرتغاليون مع الزامورين Zamorin ملك كاليكوت حول التجارة ، ولكنهم حاولوا منع المسلمين من ممارسة التجارة ، بأن تعدوا عليهم مما شكك الزامورين في نواياهم ، فأمر بقتالهم ، وقتل منهم نحو سبعين أو ستين رجلا ، فضرب كابرال كاليكوت بالمدافع[٣]. ولما رأى كابرال قوة أعدائه رحل الى لشبونة عائدا بفكرة وهي ضرورة الحصول على ثروات الهند الضخمة بالقوة الهائلة ، أو التخلي عن المحاولة[٤]. وتبعت حملة كابرال حملة أخرى بقيادة جون دانوفا John da Nova عام .

---

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٣٩ ؛
Macgregor, op. cit. p. 595.

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٣٦-٣٧ ؛ بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٣٩ ؛ انورعبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٦ .

(٣) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٣٦ ، ٣٧ ؛ انورعبد العليم ، نفس المرجع ، ص ٥٦ ؛ Macgregor, op. cit. p. 595.

(٤) Sousa. op. cit. Vol.(1). p.p. 63- 64.

٩٠٧هـ/١٥٠١م لنفس الغرض .[1]

وأخيرا قرر ملك البرتغال ارسال حملة أكبر وأقوى بقيادة فاسكو دي جاما ،مكونة من عشرين سفينة ، وقد سلّمه علم القيادة في احتفال كبير في الكنيسة الكاتدرائية بعد أن منحه لقب " أميرال البحار الشرقية ".[2] وغادر فاسكو دي جاما لشبونة في ٩٠٧هـ(مارس ١٥٠١م) ، وعندما وصل الى "كلوة في شرق أفريقية قصفها بمدافعه ونيرانه بكل شراسة وعنف ،مدمرا جزءا كبيرا منها حتى أخضعها وأرغم سكانها على دفع الضريبة لملك البرتغال ، ثم غادرها الى ماليندي وهناك عامل السفن الآتية من كاليكوت بكل قسوة ، واستولى على كثير من سفن المسلمين التي كانت ترسو في ماليندي .[3]

وأخيرا وصل دي جاما الى ساحل مليبار ، وهناك مارس القرصنة ،

---

(١) Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p.60 -61 ;
أنور عبد العليم ، نفس المرجع ،ص ٥٦ .

(٢) Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p.63-64;
بانيكار ، نفس المرجع ص ٣٩-٤٠ .

(٣) Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p.64-65 .

والارهاب البشع ، وعامل المسلمين بالذات معاملة وحشية ، ولم يسلم منه حتى الضعفاء والعزل [١] ، فكان يقطع الطريق ويستولي على السفن دون تمييز . وقد دوّن بعض مؤرخي المسلمين في حوادث سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م ، ما ارتكبه فاسكو دى جاما في حق الاسلام والمسلمين [٢].

وذكر سوزا Sousa وغيره أن فاسكو دى جاما وجد أمام ساحل مليبار ، سفينة للحجاج قاصدة مكة المكرمة . وكانت السفينة تابعة للسلطان المملوكي قانصوة الغوري فاستولى عليها ،ونقل بضائعها الى سفنه ، ثم أحرقها بمن عليها . وبعد محاولة يائسة من ركاب السفينة للدفاع عن أنفسهم استقرت السفينة في قاع البحر [٣] .

---

(١) بانيكار ،نفس المرجع ،ص ٤٠ - ٤١ ؛ أنور عبد العليم ، نفس المرجع ص ٥٦ .

(٢) الشيلي ، السنا الباهر ،ورقة ٦٧ ؛ يحيي اليماني ، أنباء أبناء الزمن ، ورقة ١١٢ ؛ ابن الديبع ،قرة العيون ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٣) Sousa. op. cit. Vol.(1).p.p. 65-66; بانيكار ،نفس المرجع ،ص ٤٠ - ٤١ ؛ أحمد دراج ، المماليك والفرنج ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

وقد مرّ فاسكودي جاما على كنانور ـ شمال كاليكوت ـ لحمل المتاجر ، ثم توجه الى كاليكوت وأرسل رسائل التهديد الى ملكها الزامورين Zamorin . وأخيرا وقعت الحرب بين المسلمين يساعدهم الزامورين ، والبرتغاليين . ورغم الاسلحة البرتغالية القوية ، فقد استطاعت سفن المسلمين محاصرة أسطول دى جاما الذى خشي العاقبة فأبحر الى كنانور ، ثم الى كوتشين ـ جنوب كاليكوت ـ وعقد صلحا مع ملكها ، وأخيرا غادرها الى البرتغال آخذا معه تسع سفن تحمل مالا يقل عن خمسة آلاف قنطار من البهار .[1]

°°°

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (1).p.p.65-69;
بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٤١ - ٤٢ ؛ أحمد دراج ، نفس المرجع ، ص ١٣٢ .

(٤) نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح

ويمكن اجمال نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح في النقاط الثلاث الآتية وهي : تحقيق الأهداف الصليبية ، وتحول طريق التجارة العالمية من البحر الأحمر والخليج العربي الى رأس الرجاء الصالح ، وانهيار تجارة المماليك والبنادقه .

أما عن تحقيق الأهداف الصليبية ، فلا شك أن عبور بارثلميود ياز رأس الرجاء الصالح ، ووصول فاسكودى جاما الى الهند ، قد أعطى البرتغاليين الفرصة الكبرى لتحقيق أهدافهم الصليبية وان لم تكن جميعها .

لقد أرادوا القضاء على الاسلام في كل مكان ، مثلما قضوا على المسلمين في الأندلس وأعادوها نصرانية متعصبة تغلي حقدا على المسلمين ، فساروا على نفس النهج في قتل وتعذيب المسلمين ، وهدم المساجد وتدمير المدن الاسلامية ، وحرق السفن بمن عليها في عرض البحر . وخص البرتغاليون المسلمين فقط بهذه المعاملة الوحشية . أما غير المسلمين من الهنود والصينيين وغيرهم ، فقد عاملوهم معاملة حسنة ولم يتعرضوا لهم بسوء .[1] وذكر هذه الحقيقة زين الدين في كتابه

---

(١) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٥٢ .

وقرر أن عداوتهم كانت للمسلمين فقط دون غيرهم .(١)

وأصبحت السفن الاسلامية لا تبحر الا بتصريح برتغالي ، يصدره ملك البرتغال . وكان البرتغاليون فى بداية الأمر يراعون هذا التصريح فلا يتعرضون للسفن التى تحمله ، ثم تطور الأمر وأصبحت المراكب البرتغالية تمارس أعمال القرصنة في البحار ، ولم يعد التصريح الا اجراءًا شكليا . فما أن تخرج السفن الاسلامية الى عرض البحر حتى يهاجمونها سواء كان لديها تصريح أم لا ، فيسلبونها ويغرقون من فيها .(٢)

وهزت هذه الحوادث مشاعر المسلمين في كل مكان ، فدونها مؤرخو المسلمين في القرن العاشر الهجرى ، فعلى سبيل المثال ذكر القاضي زين الدين أفعالهم في الهند من تعطيل أسفار المسلمين خصوصا للحج ، والاستيلاء على سفنهم ونهب أموالهم واحراق مدنهم ومساجدهم ، ووطىء المصاحف بأقدامهم ، واحراقها ، وهتك حرمات المساجد ، وتحريضهم على قبول قول الردة والسجود لصليبهم ، وسب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جهارا ،واجبار المسلمين والمسلمات على التنصير .(٣)

---

(١) زين الدين ، تحفة المجاهدين ،ص ٤٦ .

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ،ص ٦٨-٦٩ ؛
Serjeant, op. cit. p. 18.

(٣) زين الدين ،تحفة المجاهدين ،ص ٤٤-٤٦ ؛ احمد الساداتي ،تاريخ المسلمين فى الهند ،جـ ٢ ،ص ١٩١-١٩٢

وذكر ابن ماجد نفس المعنى فيقول فى أرجوزته :

وسار فيها مبغض الاسلام والناس في خوف واهتمام [١]

وقال قطب الدين النهروالي : " وصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كلّ سفينة غصباً الى أن كثر ضررهم على المسلمين ." [٢] وذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م بأن عدد السفن الافرنجية ، التي تهاجم سفن المسلمين على شواطئ الهند بلغت خمسين سفينة . [٣]

حقا لقد نظروا الى المسلمين نظرة مهينة ، ولم يكترثوا بالحياة الانسانية لغير المسيحيين . [٤] ورغم هذه الوسائل الوحشية التى اتبعها البرتغاليون ضد المسلمين لتحويلهم عن الاسلام ، فان المقاومة الاسلامية اشتدت يوما بعد يوم ، فتصدى سلاطين المسلمين في جوجيرات (كوجرات) والديو للبرتغاليين عسكرياً ، كما راح الدعاة المسلمون يواجهون

---

(١) أحمد بن ماجد ، ثلاث أزهار ، ص ٤٣

(٢) النهروالي ، البرق اليماني ، ص ١٨ - ١٩ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٨٥ .

(٤) Serjeant, op. cit. p.p. 30-31.

حركة التبشير ، واجبار المسلمين على التنصير بالعمل على نشر الدعوة الاسلامية .[١]

وحاول البرتغاليون كثيرا اختراق البحر الأحمر والوصول الى الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز . وتنبه سلاطين المماليك في مصر لخطورة الأمر ،وأحبطوا هذه المحاولات الصليبية . ثم جاءت الدولة العثمانية لتكمل المهمة ، وتحكم سيطرتها على البحر الأحمر نهائيا ، وتجعله - كما كان - بحراً اسلامياً خالصاً .

أما عن تحول التجارة العالمية من البحر الأحمر والخليج العربي الى رأس الرجاء الصالح ، فقد كانت السفن التجارية تسلك طريقي البحر الأحمر والخليج العربي الى موانئ الشام ومصر على البحر المتوسط حيث ينقلها التجار البنادقة على سفنهم الى أوربا . ولكن ما أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، حتى أخذوا جادين في تحويل الطرق التجارية عن المنفذين القديمين لها في الخليج العربي والبحر الأحمر الى طريقهم الجديد .[٢]

---

(١) توماس ارنولد ، الدعوة الى الإسلام ،ص ٢٩٨ .

(٢) Shaw, op. cit. p. 83.

وبدأ البرتغاليون أولا في توطيد مركزهم على الساحل الهندى ، فنرى فاسكو دي جاما منذ وصوله في أول رحلة له ، حصل على اذن بالتجارة من الزامورين حاكم كاليكوت ، وفي رحلته الثانية ، حاول القضاء على نفوذ التجار المسلمين في الشاطيء الهندي ، ومنعهم من ممارسة التجارة عن طريق القوة . ورغم المعارضة التي وجدها البرتغاليون من المسلمين والزامورين في الهند ، الا أنهم واصلوا جهودهم بأن صالحوا أهل كوتشين وكنانور ، وأصبحوا يتاجرون من هاتين المدينتين في بادىء الأمر .(١)

وجاءت بعد ذلك الخطوة الثانية لتحويل طريق التجارة بمهاجمة السفن الاسلامية عند مدخل البحر الأحمر والخليج العربي ،والاستيلاء عليهما .

ويذكر ابن الديبع في حوادث سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م مثالا لأفعالهم فيقول : " وفي هذه السنة ظهرت مراكب الافرنج في البحر بطريق الهند وهرمز وتلك النواحي ، وأخذوا سبعة مراكب وقتلوا أهلها" (٢)

---

(١) انظر ماسبق ص ٨٩-٩٢

(٢) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢٠٦

وفي سنة ٩١٣هـ /١٥٠٧م هاجم البرتغاليون جزيرة سوقطرة ،وأنشأوا حصنا للاشراف على تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندى فى محاولة للقضاء على نفوذ سلاطين المماليك . وفي نفس السنة أيضا ، هاجموا هرمز مفتاح الخليج العربي واحتلوها .[١]

ولما تبين للبرتغاليين أن سوقطرة لا تمثل مفتاح البحر الأحمر فكروا في احتلال عدن ، المدخل الحقيقي له .[٢] ففي عام ٩١٩هـ/١٥١٣م قدم البرتغاليون الي عدن في ثمانية عشر مركبا بقيادة البوكيرك، وحاولوا اقتحامها عدة مرات . ولكن نظرا لحصانة موقعها الطبيعي والكفاح المستميت لأهل المدينة ، وحاكمها مرجان الظافرى ، فشل البرتغاليون في اقتحام عدن واكتفوا بحرق المراكب الموجودة في الميناء . ثم ساروا الى المخا في الشمال ثم الحديدة فوجدوا نفس المقاومة من جانب العرب المسلمين ، فارتدوا عنها ، ثم نزلوا في جزيرة كمران

---

(١) ابن المطهر ، روح الروح ،ورقة ٧ ؛ ابن الديبع ،قرة العيون ، ص ٢١١ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٦٠ ؛ سيديو ، نفس المرجع ،ص ٤٣٢ .

(٢) Cook (editor). Ahistory of the Ottoman Empire, p.p. 89-90; Serjeant.op. cit.p. 19.

واحتلوها . وتهيأوا لاعادة الكرة مرة أخرى على عدن ، ولكنهم هزمـــوا مرة أخرى ، فرحلوا الى الهند .[١] ولم تتوقف المحاولات البرتغاليــة لاحتلال عدن حتى سقوط دولة المماليك في أيدى العثمانيين .

ولكي يتم تحويل الطريق التجارى تماما الى رأس الرجاء الصالـــح ، سيطـر البرتغاليون على سفالـة وموزمبيق . ففي نفس السنـــــة (٩١٩هـ/١٥١٣م) هاجم البرتغاليون زيلع وبربرة ، واستخدموا هـذه المحطات للاستيلاء على سفن العرب القادمة من البحر الأحمروتحطيمها[٢] كما استعملت هذه المراكز التجارية لامداد غزواتهم في بلاد العـرب ، وفرض الرقابـة على السفن المارة[٣] ، ذلك لكي يضمنوا لأنفسهـــم السيـادة على اسواق التوابل .

أما النتيجة الثالثـة من نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالـــح ، فهي انهيار تجارة البنادقه والمماليك . فبعد أن نجح البرتغاليون فــي اغلاق البحـر الأحمر والخليج العربي في وجه تجارة الهند ، في بدايـة القـرن العاشر وتعرض البرتغاليين لسفن المسلمين في المحيط الهندى

---

(١) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٩ ، ابن الديبع ، قرة العيون ص ٢١٦-٢١٨ .

(٢) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١٧٧ .

(٣) محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٦٨ - ٦٩ .

انقطع المورد المالي لسلطنة المماليك ، وكذلك تدهور المركز المالي والتجارى لمدينة البندقية التي احتكرت نقل وتجارة السلع الشرقية الى أوربا .

لقد انقلب الميزان التجارى ، فبعد أن كانت أسعار التوابل ، تصل في أوربا الى ثلاثة أضعاف ثمنها الحقيقي ، نجد أنه بعد أن تحولت التجارة الي رأس الرجاء الصالح ، انخفضت أسعارها في لشبونة بشكل مذهل ، فقنطار الفلفل كان يباع في الاسكندرية بحوالي ثمانين بندقي أصبح يباع في لشبونة بعشرين بندقي تقريبا [(١)] ، كما انخفضت تكاليف النقل بنسبة ستين في المائة (٦٠٪) [(٢)] .

ولم يبق أمام البندقية سوى أن تختار بين أمرين ، اما أن تبتاع ما تريد من التوابل من لشبونة ، أو أن تحاول ضرب نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندى . وبالفعل اتخذت البندقية لها في بادىء الأمر طريق المقاومة من أجل استرداد سوق البهار ، فأوفدت سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢ م ، مبعوثها الى القاهرة بندتو سانودو : Banedetto Sanudo لتحذير السلطان المملوكي قانصوة الغورى

---

(١) شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) Milles, op. cit. p. 140 .

من عواقب سيطرة البرتغاليين على المحيط الهندى . كما طلبت منه أن يخفض أثمان التوابل الباهظة في موانىء السلطنة المملوكية لكي يساعدهم على الوقوف في وجوه خصومهم .(١)

وتلت هذه السفارة سفارة أخرى سنة ٩١٠هـ/١٥٠٤م لنفس غرض السفارة الأولى . وكان جواب السلطان المملوكى لكلا السفارتين ، بأنه لا يستطيع أن يعمل شيئا اذا ترك وحيدا أمام البرتغاليين ، ويجب على البنادقة معاونته في تجهيز حملة ضد البرتغاليين فى المحيط الهندى . ولكن البندقية تلقت تهديدا شديدا من الملك البرتغالي مانويل لمعاونتها أعداء المسيحية وأعداء البرتغال .(٢)

وبعد هزيمة المماليك في معركة ديو سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م لم تجد البندقية أمامها سوى الاتجاه الى لشبونة كبقية دول أوربا ، لتبتاع منها التوابل .(٣)

---

(١) شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٤٧-١٤٨ ؛ أحمد دراج ، المماليك والفرنج ، ص ١٣٣ .

(٢) احمد دراج ، المماليك والفرنج ، ص ١٣٣ ؛ نعيم زكي ، نفس المرجع ، ص ٨٩-٩٠ .

(٣) شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٥٢-١٥٣ .

أما من ناحية انهيار تجارة سلاطين المماليك ،فان من مظاهرهـا انخفاض المتحصلات المالية المفروضة على متاجر الشرق ، وندرة السلع المجلوبة من الهند ، وامتناع التجار البنادقة عن الوفود الى موانئ مصر لعدم وصول المتاجر الهندية .(١)

ورغم هذه الكارثة ، لم يحاول سلاطين المماليك تخفيض الضرائب الجمركية ، مما شكل اجحافا في حق التجار ، وظلما للرعية ، كما عاد بالخراب على تجارة الدولة المملوكية .(٢)

وهكذا نرى أن البرتغاليين قد حرموا السلطنة المملوكية من مصدر ثرائها الأول ، وأصبحت لشبونة هي وجهة التجار الأوربيين ، بعد أن تحولوا عن البندقية التي لم تجد في موانئ مصر والشام المتاجر والسلع اللازمة للقيام بتجارتها المعتادة .

وحاول المماليك تفادى هذا الخطر ، لكن محاولتهم جاءت متأخرة نظرا لازدياد قوة البرتغاليين ، وتوطيد اقدامهم في الهند . ففي

---

(١) ابن اياس ،بدائع الزهور ،جـ ٥ ،ص ٩٠ ؛
Serjeant, op. cit. p. 15.

(٢) ابن اياس ،بدائع الزهور ،جـ ٥ ،ص ٩٠ .

سنة ٩١٤هـ/١٥٠٨م ، بعث السلطان الغورى حملة بحرية الى الهند ، مكونة من ثلاث عشرة سفينة وألف وخمسمائة رجل ، بقيادة حسين الكردى [١] ، ووصل حسين الكردى الى جزيرة " ديو " وهناك انضمت اليه سفن مالك اياس حاكم الجزيرة ، ثم توجهوا الى شول Chaul وهناك قابلوا اسطولا برتغاليا بقيادة لورنزو دى الميدا Lourenco de Almeyda ابن نائب الملك في الهند فرانسيسكو دى الميدا Francisco de Almeyda واشتبك الأسطولان فحلت الهزيمة بالبرتغاليين ، وقتل القائد لورنزو ، ثم توجه الامير حسين ومالك اياس الى ديو مرة أخرى لاصلاح السفن.[٢]

وكمن البرتغاليون بقيادة نونو فاز بيريرا Nunno vaz Perêira : للأمير حسين الكردى بعد أن قرر نائب الملك الانتقام لابنه ، وهاجموه على حين غرة فى عام ٩١٥هـ (٣ فبراير ١٥٠٩م) ، وأوقعوا به الهزيمة واستولوا على بعض

---

(١) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٠ - ٤١ ؛
Sousa, op. cit. Vol.(1).p.134,

بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٤٢

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص ١٤٢ ؛ زين الدين ، تحفة المجاهدين ص ٤٠ ، ٤١ ؛ Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p. 137-138

سفنه ، وأغرقوا أكثرها ، وقتل معظم عساكر الأمير حسين ، ولكنه جرح وفرّ الى ملك كنبايه محمود شاه ، ثم عاد بعد ذلك الى مصر حيث عين نائبا على جدة .[(١)]

وفي سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م هاجم البوكيرك عدن للاستيلاء عليها ، فاستولي على كمران . ووصلت أخباره الى السلطان الغورى ، الذى استنجد به عامر بن عبد الوهاب حاكم اليمن ، وكذلك أمراء جوجيرات وكاليكوت ، فأخذ السلطان المملوكي في تجهيز حملة أخرى لتتوجه الى الهند.[(٢)] وطلب السلطان المملوكي العون العسكرى من البندقية ولكنها رفضت لكي لا تظهر أمام العالم المسيحي بمظهر الخيانة . فتوجه السلطان الغورى بطلبه الى السلطان العثماني بايزيد الثانى الذى أمده بالأسلحة والأخشاب اللازمة للأسطول ، لإنقاذ الأماكن الإسلامية المقدسة .[(٣)]

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٣٠٨ ؛ زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٠ - ٤١ ؛
Sousa, op. cit. Vol.(1).p.p.147- 149.

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٨٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ؛ النهروالي البرق اليماني ، ص ١٩ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٢٠١-٢٠٣ ؛ نعيم زكي ، نفس المرجع ، ص ٣٠-٣١ ، ٩١-٩٢ ؛ محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٤٧

وأخيرا تم بناء نحوعشرين سفينة في السويس ، وجعل هذا الأسطول تحت قيادة حسين الكردى ، والرئيس سلمان العثماني [١].
وتوجهت المراكب الى جدة ومن ثم الى اليمن سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م .
وهناك قضى الأمير حسين على الدولة الطاهرية باليمن ، ولم يستطع تحقيق الغرض الرئيسي من الحملة ، وهو الذهاب الى الهند ومنازلة البرتغاليين ، وان كان قد أمّن مدخل البحر الأحمر ضدهم .

وفي سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م ، عاد حسين الكردى الى جدة بعد أن ترك في اليمن نائبا عنه هو برسباى الجركسي . واستمر فى جدة حتى سقطت الدولة المملوكية في أيدى العثمانيين سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م.

ولو عدنا الى السبب الرئيسي في سقوط سلطنة المماليك لوجدنا أن هيمنة البرتغاليين على التجارة لم تكن العامل الرئيسي الأول في تدهور السلطنة المملوكية وسقوطها في أيدى العثمانيين . فقد وصلت السلطنة المملوكية خلال الربع الأول من القرن العاشر الهجرى الى حالة من الضعف والانهيار نتيجة عوامل كثيرة داخلية وخارجية .

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٤٥٨ ؛ زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤١ - ٤٢ .

فقد حاول الشاه اسماعيل الصفوى التحالف مع الافرنج ـ البنادقة والجنويين ـ ضد السلطان المملوكي [1] . ومدّ العثمانيون نفوذهم الى أراضي السلطنة المملوكية لمواجهة النفوذ الصفوى والوصول الى الحرمين الشريفين ، هذا بالاضافة الى ضعف القوى العسكرية في دولة المماليك حيث امتنع المماليك عن الأخذ بنظام الاسلحة المتطورة مثل البنادق والمدفعية والتشبث بالسيف والرمح مما أضر بقوة الدولة العسكرية . [2]

أما من الناحية الداخلية فقد تدهور اقتصاد السلطنة المملوكية نتيجة سوء الأحوال الزراعية والتجارية واستحداث ضرائب جديدة أرهقت الناس ، بالاضافة الى ظلم وجور المماليك للرعية . [3]

هذه العوامل كلها ساهمت في تدهور وانهيار قوة دولة المماليك وبالتالي سقوطها في أيدى العثمانيين ، ولم يكن توسع البرتغاليين سوى

---

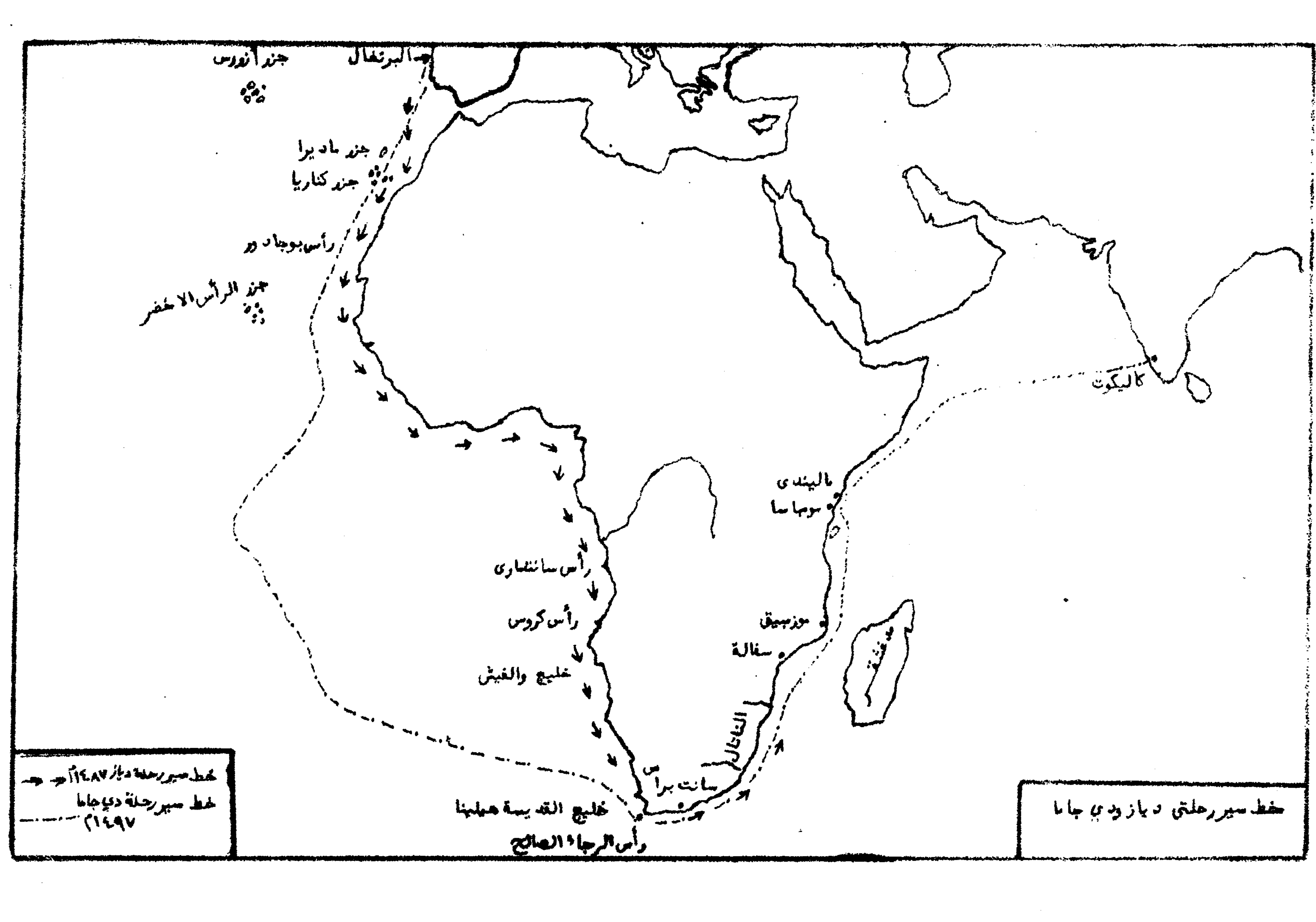
(١) ابن اياس ،بدائع الزهور ،جـ ٤ ،ص ٢٠١ ، ٢٠٥ ؛ ابن طولون ، مفاكهة الخلان ،جـ ١ ،ص ٣٤٢ .

(٢) Cook.op.cit.p.72; Rabie, political Relations.p.p. 5 - 6 ;
عبد العزيز نوار ، تاريخ العرب الحديث ،ص ٤٥-٤٦ .

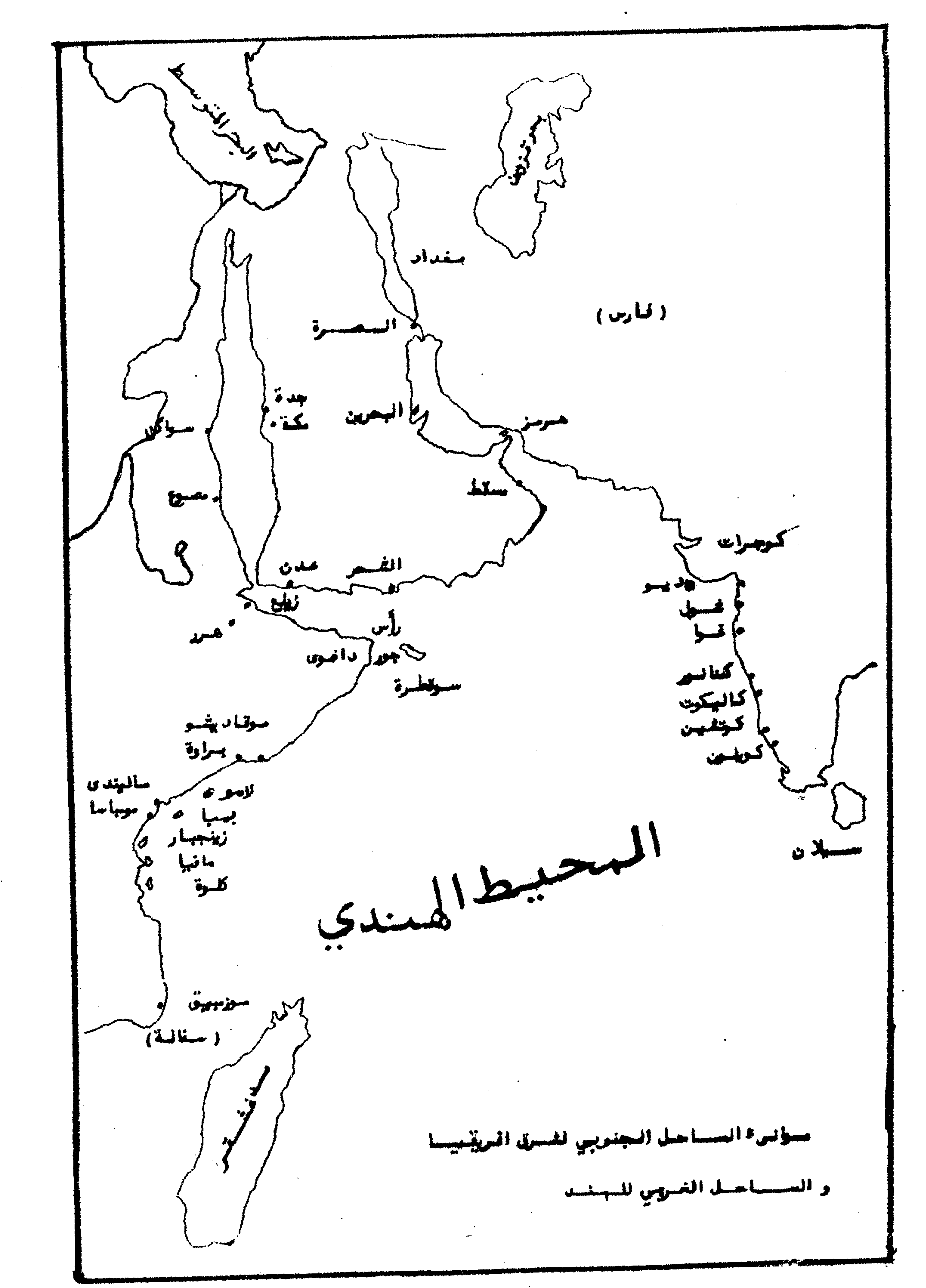
(٣) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ١٩٠ ؛ النهروالى ،الاعلام ،ص ٢٤١-٢٤٢ ؛
Cook. op. cit.p. 73.

عامل من هذه العوامل . لقد هاجم البرتغاليون البحر الأحمر للاستيلاء عليه ، ولكن ردتهم عنه قوة المقاومة المملوكية . وبعد سقوط سلطنة المماليك تولى العثمانيون مهمة الدفاع عن هذا البحر بقوة أكبر ، لذلك تطلع البرتغاليون الى مد نفوذهم الى الخليج العربي . وهو موضوع الفصل الثالث .

-٠-



جزر أزورس
البرتغال
جزر ماديرا
جزر كناريا
رأس بوجادور
جزر الرأس الأخضر
كاليكوت
ماليندى
مومباسا
رأس سانتماري
رأس كروس
خليج والفيش
موزمبيق
سفالة
الناتال
سانت براس
خليج القديسة هيلينا
رأس الرجاء الصالح
خط سير رحلة دياز ١٤٨٧م
خط سير رحلة دي جاما ١٤٩٧م
خط سير رحلتي دياز ودي جاما



موانئ الساحل الجنوبي لشرق افريقيا

و الساحل الغربي للهند

الفصل الثالث

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري. وموقف أبناء الخليج والعثمانيين والصفويين.

١- غزو البرتغاليين مراكز التجارة في الخليج العربي وسيطرتهم عليها.

٢- تدمير البرتغاليين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي.

٣- موقف أبناء الخليج والعثمانيين والصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي.

(١) غزو البرتغاليين مراكز التجارة في الخليج العربي وسيطرتهم عليهـــا

°°°

يرتبـط ذكر الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج العربـــي بســيرة الفونسو دى البوكيرك Alfonso de Albuquerque القائد البرتغالي ، الذى وفد الى الشرق في سنة ٩٠٩هـ(فبراير سنـــة ١٥٠٣م) . وخلال مدة اقامته في الهند وضع البوكيرك خطة حكيمـة لتحقيق سيادة البرتغاليين البحرية ، وذلك باحتلال الموانـــــىء التجاريـــة على طول الطريق البحـرى بين الهند ورأس الرجاء الصالح ، وجعلهـــا مراكـز منيعة للبرتغاليين[1] .

وفي سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م ، عاد البوكيرك مرة أخرى الى الشـــرق ومعه أمراً سرياً من ملك البرتغال ، بتعيينه نائباً للملك فى الهند ، خلفـــاً لدوق الميدا نائب الملك السابق في الهند[2] . وصل البوكـــــيرك

---

(١) Millew, op. cit. p. 140, Ency clopaedia Britannica, Article portugal, Macgregor, op.cit. 599

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 1. p.p.139-140; Milles, op. cit. p. 141 ; لوريمر، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١٢-١٣ .

معه أيضا الموافقة على خطته التي عرضها مسبقا على الملك ، وهي سد منافذ التجارة الاسلامية المتمثلة في البحر الأحمر والخليج العربي [١] .

وفى سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧ م ، استولى البوكيرك على جزيرة سوقطرة الواقعة في منتصف الطريق بين البحر الأحمر والخليج العربي ، كما هاجم عدن في نفس السنة ، ولكنه فشل أمامها ، [٢] فتوجه الى الخليج العربي الذى كان أكثر سهولة من البحر الأحمر . وبدأ الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج ، وأهمها - من الجنوب الى الشمال - قلهات وقريات ومسقط وصحار وخورفكان وهرمز والبحرين والقطيف والبصرة .

أبحر البوكيرك الى الخليج العربي في سبع سفن وأربعمائة وستين محاربا [٣] . ووصل الى قلهات في سنة ٩١٣هـ (أغسطس سنة ١٥٠٧م) بعد أن مرّ على جزيرة مصيره ورأس الحد وصور على الساحل العماني وألقى مراسيه فيها بعد أن ألقى في قلوب سكانها الرعب بأفعاله الوحشية عند دخوله المياه العمانية ، حيث دمر السفن والمراكب الراسية في الموانىء السالفة الذكر [٤] .

---

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ١٤ - ١٥ .

(٢) انظر ماسبق ص ٩٩

(٣) Sousa. op. cit. Vol. 1. p. 126 .

(٤) Milles. op. cit. p.143.

كانت قلهات تابعة لمملكة هرمز الفارسية ، وخطط البوكيرك للقضاء على هذه المملكة بالاستيلاء على جميع الموانئ التابعة لها . وبعد وصوله الى مدينة قلهات بيوم واحد ،أرسل البوكيرك الى الحاكم وفدا من قبله يطلب تسليم المدينة دون قيد أو شرط ، ونقل تبعيتها لملك البرتغال .[1] ووافق الحاكم الفارسي خوفا من تدمير المدينة ، وقدّم للبوكيرك الامدادات اللازمة للاسطول ، وعقد معه الصلح .[2]

ورغم الصلح الذى عقده البوكيرك مع حاكم قلهات ، الأأن المدينة لم تسلم من التدمير والنهب ، فبعد حصار البوكيرك لهرمز سنة ٩١٣هـ ١٥٠٧م ، رحل عنها بعد تمرد قواته عليه وعاد الى سوقطرة[3] . وبعد ذلك رجع البوكيرك الى قلهات في سنة ٩١٤هـ (اغسطس ١٥٠٨م) ، للانتقام منها ، لمساعدتها هرمز أثناء حصار البرتغاليين لها . وحاول البوكيرك في هذه المرة استدراج حاكم قلهات " شريف الدين " الى سفينته للغدر به ، ولكنه أفلت منه ، عن طريق الاعتذار ، لذلك

---

(١) Milles. op. cit. p. 144 .

(٢) Sousa. op. cit. Vol. 1. p.p. 126- 167.

(٣) انظر مايلى ص ١١٨ - ١٢١

هاجم البوكيرك المدينة واستولى عليها ،وأمر بنهبها . وحاول شريف الدين - الذى التجأ الى الجبال - استرداد المدينة ولكنه فشل فى ذلك ، وحمل البوكيرك المؤن والغنائم الى سفنه ، وأمر بحرق المدينة وهدم المسجد الجامع بها .[١]

أما استيلاء البرتغاليين على قرياط - التي تقطع على مسافة عشرة فراسخ من قلهات - فقد وصلها البوكيرك في سنة ٩١٣هـ(٢٢ أغسطس ١٥٠٧م) .[٢] ووجد البوكيرك في قرياط استعداد السكان للمقاومة فلم يبعث اليهم بوفد كما فعل مع قلهات . بل قصف المدينة بعنف فوجد استبسالا في التصدى والمقاومة ،مما أطال زمن المعركة ،ولكن في النهاية تغلبت الأسلحة البرتغالية القوية ، فتراجع أهل المدينة ودخلها البوكيرك ، وأعمل فيها مذبحة بشعة ، قتل البرتغاليون فيها كل من وقع تحت أيديهم من الأهالي العزّل دون تمييز.[٣] وأخيرا تم احراق المدينة ، وأسر كثير من أهلها ، وأحرق البرتغاليون جميع السفن

---

(١) Sousa. op. cit. Vol. 1. p.p. 140-141 ; Milles. op. cit. p.p. 152-153 .

(٢) لوريمر ،نفس المرجع ،ص ١٢ ، ١٣ .

(٣) Milles. op. cit. 144- 145 .

التي كانت في الميناء ، ولم يكفهم كل هذا بل عمدوا الى تشويه الأسرى العزّل بصمل آذانهم وجدع أنوفهم .(١)

ثم توجه البوكيرك بعد ذلك الى مسقط . ومسقط - كما هو معروف - الميناء الرئيسي على ساحل عمان ، وأكثرها مناعة وحصانة . وترامى الى آذان سكانها أنباء كارثة قرياط قبل أن يقدم اليهم البوكيرك ، فراحوا يحصنون المدينة بالمدافع ، وبناء سور اضافي حولها . ورغم كل ذلك لم تكن لديهم نية الدخول في حرب مع البرتغاليين منذ البداية .

وصل البوكيرك الى مسقط ، بعد أربعة أيام من مغادرته لقرياط . ورسا على مقربة منها ، وتقدم اليه وفد من أهالي المدينة ، عارضين استعدادهم للتفاهم سلماً ، راجين منه عدم التعرض لمدينتهم بسوء .(٢)

وفي أثناء المفاوضات تلقت مسقط تعزيزات كبيرة من ملك هرمز ،

---

(١) Sousa. op. cit. Vol. 1. p.p. 126-127; Milles. op. cit. p.p. 144-145; Serjeant, op. cit.p.15 .

(٢) Sousa. op. cit.Vol. 1. p. 127; Milles, op. cit. p.p. 145-146;
قدري قلعجي ، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٦٤ .

مما جعل وفدها يفاوض من مركز القوة الى حد ما [1] . وقد اشترط عليهم البوكيرك دفع ضريبة سنوية ، وامداد أسطوله بالمؤن والماء ،والخضوع لملك البرتغال . ووافق المتفاوضون على امداده بالمؤن ، ولكنهم رفضوا الخضوع لملك البرتغال . فما كان من البوكيرك الا أن هاجم مسقط من عدة جهات مستخدما المدافع والاسلحة النارية . وقاوم السكان بضراوة وأنزلوا بقوات البوكيرك خسائر كبيرة. وأخيرا استطاع البرتغاليون اقتحام المدينة والاستيلاء عليها .وأعمل البوكيرك ورجاله مذبحة رهيبة بين السكان رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً . [2]

ويذكر مايلز في كتابه [3] أن مسلك البوكيرك كان يستحق اللوم ، اذ أنه بعد أن هزم العرب وتجمع الجنود البرتغاليون المشتتون ، أمر القائد البرتغالي بذبح معظم السكان الباقين ، رجالا ونساء وأطفالا بدون تمييز .

هذه الأعمال الوحشية لازمت الصليبيين الأوربيين في جميع حروبهم ضد المسلمين . وتذكرنا المذبحة التي أعملها البوكيرك في

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. 1.p. 127; Milles. op. cit. p. 146 .

(٢) Milles, op. cit. p.p. 146-147 .

(٣) Milles, op. cit. p. 146 .

أهالـي مسقط ، بالمذبحة التي اقترفها الصليبيون عند غزوهم بيت المقدس في حملتهم الصليبية الأولى ، حيث نرى نفوسهم الحاقدة لا ترويها الا الدماء .[(١)]

وبعد نهب مدينة مسقط ،وتزويد السفن بالمؤن استعد البوكيرك لحرق المدينة . وقد رجاه من التجأ من السكان الى الجبال أن ينقذها من الحرق ، ولكنه اشترط عليهم دفع فدية كبيرة ، كان من الصعب على من تبقى من السكان دفعها . لذلك أضرمت النيران في مسقط ، ودمرت مساجدها ، وتركها البرتغاليون خاوية على عروشها .[(٢)]

بعد تدمير مسقط ،دبّ الخلاف بين البوكيرك وبين القبطان جوادي نوفا Joao de Nova قائد السفينة "فلور دي لامار" Flor de Lamar . وواجه البوكيرك هذا التمرد باستعمال العقوبات الشديدة .[(٣)] ثم سار باسطوله الى صحار ، ورسا أمام قلعتها الحصينة الضخمة . ونظرا لأن القلعة كانت تفتقر الى حامية قوية

---

(١) انظر ستيفن رانسيمان ،تاريخ الحروب الصليبية ،جـ ١ ،ص ٤٠٤-٤٠٦

(٢) Milles.op.cit.p.147;
لوريمر ،نفس المرجع ،ص ١٢-١٣ ؛ قدري قلعجي ،نفس المرجع ص ٣٦٥

(٣) Milles.op. cit. p. 149.

للدفاع عنها ، أرسل حاكم المدينة الى البوكيرك رسالة يلمح له فيها برغبته في السلام وعقد الصلح مع البرتغاليين . ورغم ذلك استعد البوكيرك للهجوم على المدينة في اليوم التالي ، لولا أن وصل اليه وفد من الحاكم يعلن خضوعه لملك البرتغال ، وتسليم القلعة .

وفرض البوكيرك ضريبة سنوية ، ووضع العلم البرتغالي في أعلى القلعة ، وأبقى حاكم المدينة مسئولا عنها بعد أن اعترف بالولاء للملك البرتغالي .(١)

اتجه البوكيرك بأسطوله بعد ذلك الى خورفكان ، في أواخر عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م . وكانت أخبار البرتغاليين وأفعالهم الوحشية قد ملأت المدينة ، فاستعد السكان للمقاومة . وانتظر البوكيرك استسلامهم كما حدث في صحار الا أنهم لم يفعلوا ، فقصف البرتغاليون المدينة بالمدافع واقتحموها ،فتراجع الأهالي الى القلعة وتحصنوا بها .فأرسل البوكيرك خلفهم ابن أخيه انطونيو Antonio فواجه مقاومة عنيفة واستبسالا رائعا . ولحقت بالبرتغاليين خسائر كبيرة ، قبل هزيمة

---

(١) Milles.op.cit.p.p.149-150;
لوريمر ، نفس المرجع ،ص ١٣ ، قدرى قلعجي ،نفس المرجع ص ٣٦٥ .

سكان خورفكان . ونهبت المدينة لمدة ثلاثة أيام ، وأسر البرتغاليون الكثير من أهلها ، وعملوا على تشويههم بقطع آذانهم وأنوفهم ، وأخيرا جعلوا المدينة طعماً للنيران .[1]

وجاء دور هرمز مفتاح الخليج العربي ، وأهم مركز تجاري به . وكانت هرمز مملكة ذات نفوذ كبير ضمت معظم موانىء الشاطىء العماني لمدة قرنين من الزمان ، فكانت تخضع لها كل من قلهات وقرياط ومسقط وصحار وخورفكان والبحرين .[2]

وقبل أن يهاجم البوكيرك هرمز ، عمل على تحطيم قوتها ونفوذها بتدمير المدن التابعة لها ، وعندما سار اليها البوكيرك وجدها غير تلك المدن التي دمرها وأحرقها ، اذ وجدها مدينة منيعة محصنة مستعدة أتم الاستعداد لمواجهته بعد أن وصلتها أنباء مبكرة . وكان يحكم هرمز في ذلك الوقت الملك سيف الدين ، وهو ابن اثنا عشر عاما ، تحت وصاية مربيه الشيخ خوجه عطار الذى عمل جاهدا على جمع أكبر قدر من القوات - من الفرس والعرب - لحماية الجزيرة .[3] ورغم

---

(١) Sousa.op.cit.Vol.1.p.p.127-128; Milles.op.cit. p.p.150-151; قدري قلعجي ، نفس المرجع، ص٣٦

(٢) انظر ماسبق ص ٤٥ - ٤٧

(٣) Sousa.op.cit.Vol.1.p.p.128-129;
عبد العزيز نوّار ، تاريخ العرب الحديث ، ص ٦٩ .

استخدام قوات هرمز للمدافع ضد البرتغاليين الا أن أسلحة أعدائهم كانت أكثر قوة وتقدما . وحاصر البوكيرك الجزيرة وطلب من ملكها التسليم والخضوع لملك البرتغال . ورفض الشيخ عطار باصرار ، فبدأ البرتغاليون باطلاق مدافعهم فهاجمهم المدافعون في القوارب والسفن . وحدثت معركة هائلة استبسل فيها أهل الجزيرة استبسالا عظيما قبل أن يهزمهم البوكيرك . وهنا يبالغ سوزا Sousa فى الاقلال من عدد القتلى البرتغاليين حيث يذكر بأنهم قد بلغوا عشرة رجال فقط ، وهذا عدد ضئيل بالنسبة لضخامة المعركة ، وضخامة عدد المدافعين عن المدينة الذين وصل عددهم كما ذكر سوزا نفسه ثلاثة وثلاثين ألف رجل . ولو أن كل فرد من المسلحين قد دافع عن نفسه فقط ، لقتلوا أضعاف هذا العدد الذى ذكره سوزا .

ويصف سوزا - بنوع من التباهي - وحشية البرتغاليين بعد انتهاء المعركة ،فيذكر كيف أن الجنود البرتغاليين كانوا يصطادون جثث المسلمين التي طفت على سطح الماء ، لنهب حليهم الذهبية التي يرتدونها .(١)

---

(١) Sousa.op. cit. Vol.1.p.p.129- 132

وهكذا انتهت المعركة بقبول الشيخ عطار والملك سيف الدين شروط الاستسلام ، وهي دفع ضريبة سنوية وقدرها خمسة عشر ألف دينار أشرفي ذهب سنويا ، والخضوع لملك البرتغال ، وبناء قلعة على الجزيرة .[1]

وهزّت أنباء سقوط هرمز في أيدي البرتغاليين العالم الاسلامي وأشار الى ذلك كثير من مؤرخي المسلمين ،[2] وعلى سبيل المثال ، يذكر ابن المطهر في حوادث سنة ٩١٣هـ/١٥٠٧م ما نصه : " وفي هذه السنة غلبت الفرنج على مدينة هرمز وأخذوها وأفنوا من فيها من المسلمين والتجار والمسافرين " .[3]

---

(١) Sousa .op. cit. Vol.1.p.p.131-132 ;
قدري قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٣٦٥ .

(٢) انظر على سبيل المثال ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٢١١ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ص ٦٢ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ص ٦٠

(٣) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٧ .

وبعد استسلام جزيرة هرمز ، ثار القادة البرتغاليون على البوكيرك وقرروا الرحيل الى الهند ، كما هربت سفينتان من سفنه ،وتخلى عنه كثير من الرجال ، فقرر الرحيل الى سوقطرة ، وسمح لجواو دي نوفا Joao de Nova بالذهاب الى الهند .[١]

وفي سوقطرة عمل البوكيرك على تقوية حامية الجزيرة ، وزود أسطوله بسفينتين قادمتين من البرتغال ، ورحل عائدا الى هرمز مرة أخرى . وفي الطريق مرّ على قلهات ودمرها[٢] ، ووقع في أسره بعض الأشخاص الذين زودوه بمعلومات عن أحوال هرمز . ووصل البوكيرك الى هرمز في سنة ٩١٤ هـ (سبتمبر ١٥٠٨م) وعرض على الشيخ عطار والملك سيف الدين نفس الشروط السابقة ، للتأكد من خضوعهم ، فأجابوه بأنهم على استعداد لدفع الجزية ، ولكنهم لا يوافقون على اقامة القلعة .[٣] لذلك حاصر البوكيرك الجزيرة مرة أخرى ، وهنا جاءته الأوامر من دي الميدا نائب الملك في الهند ، تأمره برفع الحصار ، فقبل البوكيرك على مضض تلك الأوامر وتوجه الى الهند .[٤]

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. 1. p. 134; Milles, op. cit. 151, Macgregor, op. cit. p.597.

(٢) انظر ماسبق ص ١١٢ ، ١١٣

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 1. p. 141

(٤) صلاح العقاد ،نفس المرجع ،ص ١٦-١٧ .

ثم تولى البوكيرك منصب نائب الملك في الهند في عام ٩١٥ هجرية (نوفمبر سنة ١٥٠٩ م) خلفا للميدا وانشغل عن هرمز والخليج مدة سبع سنوات ، قضاها البوكيرك في توطيد نفوذ البرتغاليين في الهند والشرق الأقصى .[١]

وفي سنة ٩١٩هـ/١٥١٣ م عاود البوكيرك حملاته الى البحر الأحمر حيث هاجم عدن[٢] ، ولكنه فشل مرة أخرى نظرا لقوة المقاومة الاسلامية هناك ، فاتجه مرة أخرى الى الخليج عام ٩٢١هـ/١٥١٥ م ،ومرّ في طريقه على رأس الحد وقرياط ومسقط حيث تزود بالمؤن . واتجه البوكيرك بعد ذلك الى هرمز وحاصرها وقتل حاكمها ،فاستسلمت له . وعين ابن أخيه بدرو دى البوكيرك Pedro de Albuquerque قائدا لقلعة هرمز ، ووضع تحت تصرفه حامية قوية وتوجه البوكيرك ثانية الى الهند ، وقبل وصوله الى غوا على الساحل الغربي للهند عاجلته المنية .[٣]

وهكذا مات البوكيرك تاركا وراءه تاريخا حافلا بالوحشية والدمار، والدماء والحقد تجاه الاسلام والمسلمين ، حيث أمر بهدم المساجد التي

---

(١) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٣ .
(٢) انظر ماسبق ص ٩٩-١٠٠
(٣) Milles, op. cit. p. 154-155;
لوريمر ، نفس المرجع ،ص ١٤ .

وقعت تحت يده ، أثناء هجومه على المدن . والباحث يلس الـروح الصليبية المتعصبة في كل خطوة خطاها البوكيرك على أرض الخليج العربي فقد كتب الى ملك البرتغال يقول له انه حيثما أمكنه العثور على عربـي ، كان افلاته من يده من المحال ،وانه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النـار .(١)

ولم تسلم البحرين من غزو البرتغاليين ، فقد التفتت اليها أنظارهم لثرائها الرائع من تجارة اللؤلؤ ، وكانت البحرين خاضعة لنفوذ هرمز، ويحكمها عربان بنى جبر منذ النصف الأخير من القرن التاسع الهجرى.(٢)

زار البرتغاليون البحرين لأول مرة سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م، فقد حاصر بدرو البوكيرك المنامة بناء على أوامـر عمه ،وأخضعها لملك البرتغال سلما ، ثم عاد الى هرمز(٣) . وبعد سبع سنوات ، أى فى سنة ٩٢٨هـ/١٥٢٧م عاد البرتغاليون مرة ثانية الى البحرين ،أثناء فترة حكم نائب الملك في الهند " دييجو دا سكويرا "
Diego da Sequeira وجاء البرتغاليون اليها في قوة بحرية

---

(١) بانيكار ، نفس المرجع ،ص ٤٦ .

(٢) انظر ماسبق ص ٤٧،٤٨

(٣) Milles, op. cit. p.p. 153- 154.

مكونة من سبع سفن ، عليها أربعمائة محارب ومائتي مركب بقيادة انطونيو دي كوريا[١] Antonio de Correa حاصر دى كوريا المنامة عاصمة البحرين واستولى عليها بعد أن قصفها ودمر جزءاً كبيرا منها .

ويذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢١ م : أن الأمير مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري ، أمير البحرين ، كان في تلك السنة يؤدى فريضة الحج . فلما رجع الى بلاده وقعت الحرب بينه وبين الافرنج فهزموه وأسروه . وحاول أمير البحرين أن يفك أسره ، بدفع مبالغ طائلة لهم ، ولكنهم أبوا عليه ذلك وقتلوه وهو في الأسر واستولوا على أمواله وبلاده .[٢]

وبنى البرتغاليون قلعتهم في المنامة ،وفرضوا ضريبة كبيرة على الاهالي ، وأطلق على القائد دى كوريا لقب" بطل البحرين" .[٣] وذكر محمد بن خليفة النبهان أن قلعتهم لا تزال قائمة وتسمى قلعة عجاج .[٤]

---

(١) سيد نوفل ،الاوضاع السياسية ،جـ ١ ،ص ٤٣ .
(٢) ابن اياس ،بدائع الزهور ،جـ ٥ ،ص ٤٣١ .
(٣) سيد نوفل ،نفس المرجع ، ص ٤٣ ؛ صلاح العقاد ،نفس المرجع ص ١٨-١٩ .
(٤) محمد بن خليفة النبهان ،التحفة النبهانية ،جـ ١ ،ص ٦٠ - ٦١ .

وكانت الأحساء والقطيف ، تتبعان البحرين في الحكم ويملكها بنوجبر . فلما استولى البرتغاليون على البحرين وقضوا على أمير البحرين أصاب الضعف بني جبر في القطيف والأحساء ، لذلك استعانوا بأمير البصرة الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل لحمايتهم من التدخل البرتغالي في القطيف . فلما رأى الشيخ راشد ماهم فيه من التفكك واضطراب الأحوال الداخلية جاء الى القطيف واستولى عليها وأقام بها ، وولى على البصرة أخيه محمد [1] . ورغم هذا ظلت تبعية القطيف لحاكم هرمز قائمة ، وتدفع له الضريبة السنوية [2] ، وأصبح للبرتغاليين الحق تلقائيا في استعمال قلعة المدينة . وفي سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م ، أخضع الأتراك العثمانيون البصرة وجعلوها متسلمية عثمانية ، يحكمها والي عثماني وطردوا حاكمها الشيخ راشد [3] .

وبعد عدة سنوات ، وبالتحديد في عام ٩٥٧هـ/١٥٥٠م ، أعلن أهالي القطيف تبعيتهم للدولة العثمانية ، لحمايتهم من البرتغاليين

---

(١) الاحسائي ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ١٢١ .

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ص ١٦ - ١٧ .

(٣) لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٣٣ - ٣٤ ؛

Inalcik, The Ottoman Empire.p.38.

وسلموا قلعة المدينة للعثمانيين .[١] وفعلا دخل العثمانيون القطيف وفرضوا حمايتهم عليها .

وهنا استنجد حاكم هرمز الفارسي بالبرتغاليين ،كما استنجد حاكم البصرة السابق في نفس السنة بالبرتغاليين أيضا أملا في استرداد ملكه من العثمانيين . وارسل نائب الملك في الهند " الفونسو دي نورونها " Alfonso de Noronha (١٥٥٠-١٥٥٣) ابن أخيه انطونيو دي نورونها Antonio de Noronha في حملة مكونة من تسع عشرة سفينة عليها ألف ومائتين رجل توجهت الى القطيف .[٢]

وفي هرمز تجمع جنود شيخ هرمز وأمير البصرة راشد بن مغامس مع جنود نورونها ونزلوا أمام قلعة القطيف وقصفوها ودمروا قلعتها وتحصيناتها . ورغم استبسال الأتراك في تلك المعركة ، الا أن الهزيمة حاقت بهم وعادت القطيف ترزح تحت نير السيطرة البرتغالية .[٣]

---

(١) Sousa, op. Cit. Vol.2. p. 152;
لونكريك ،نفس المرجع ،ص ٤٣ .

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 152;
لوريمر ،نفس المرجع ،ص ١٦ - ١٧ .

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 152;
لوريمر ،نفس المرجع ،ص ١٧ .

ولم تستمر سيطرة البرتغاليين على القطيف طويلا ، حيث عاد الاتراك العثمانيون الى القطيف مرة أخرى .[1]

وأما البصرة ، فقد جاءت اليها أول حملة برتغالية سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٩م[2] ، عندما استعان أمير البصرة راشد بن مغامس بالبرتغاليين ضد خصمه أمير الحويزه[3] . فبعث دي كونها De Kunha نائب الملك في الهند الى راشد بن مغامس حملة بقيادة " طشيور تافرزدى سوزا " ، ولكن دبّ الخلاف بين القائد البرتغالي وأمير البصرة ، مما جعل القائد البرتغالي يدمر بعض القرى التابعة للبصرة ، وعاد أدراجه الى هرمز .[4]

فتح العثمانيون بعد ذلك العراق سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م وأعلن حاكم البصرة العربي راشد بن مغامس ولاءه للعثمانيين عام ٩٤٥هـ/١٥٣٨م[5]

---

(١) انظر مايلي ص ١٤٤

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٦ ؛ لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٤٣ .

(٣) الحويزه : موضع شرقي دجلة بين واسط والبصرة وخوزستان . انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٣٢٦ ؛ انظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية ، مادة الحويزه .

(٤) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٦ ؛ عبد العزيز نوّار ، تاريخ العرب الحديث ص ٧٠ - ٧١ .

(٥) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ٤٠٣ ؛ ابو السرور البكري ، المنح الرحمانية ، ورقة ٢٦ ؛ محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٩٠ ؛ Inalcik, op. cit. p. 38 .

وفي عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م ، استولى العثمانيون على البصرة بقيادة اياس باشا . فطرد راشد بن مغامس بسبب تمرده المستمر ضد الدولة العثمانية . واستنجد ابن مغامس بالبرتغاليين مرة أخرى ، وفعلا جاء الى البصرة القائد البرتغالي انطونيو دى نورونها بعد تدمير القطيف .

في ٩٥٧هـ/١٥٥٠ م ، ولكنه خشي من غدر أمير البصرة السابق ، فعاد الى هرمز دون أن يقدم معونة حقيقية لابن مغامس .[1]

وفي عام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م قام البرتغاليون بحملة ثالثة على البصرة، ولكنها لم تحقق شيئا ، حيث اجتاحت الأسطول عاصفة عاتية، فرّقت كثيرا من قطعه في الخليج العربي[2] .

وهكذا وقعت تلك المراكز الهامة في الخليج العربي تحت نير السيطرة البرتغالية مدة قرن من الزمان ، عانى خلالها سكان الخليج

---

(١) Sousa. op. cit. Vol. 2. p. 152;
لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٧ ؛ لونكريك ، نفس المرجع ص ٣٣-٣٤ .

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٨ .

مرارة الحروب الشرسة والتدمير المستمر .

وأدرك البرتغاليون - أثناء غزوهم لمراكز التجارة في الخليج العربي - أن سيطرتهم على تجارة الهند المارة بالخليج العربي والبحر الأحمر، لا تصبح تامة الا بالسيطرة على موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومن أهمها الشحر المتحكمة في الطريق البحرى بين الخليج العربي والبحر الأحمر .

وكانت الشحر تخضع للسلاطين الكثيريين منذ القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، ومؤسس السلطنة الكثيرية ، هو على بن عمر بن جعفر الكثيرى .(١)

تعرضت الشحر لهجمات القراصنة البرتغاليين منذ قدومهم الى الشرق . وعانى السلاطين الكثيريون كثيرا من نهب المراكب في ميناء الشحر (٢) . وكان أول هجوم منظم على الشحر قام به البرتغاليون سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٢م ، عندما جاءوا اليها في أربع عشرة سفينة .(٣)

---

(١) Serjeant, op. cit. p. 25;
باوزير ، صفحات من التاريخ الحضرمي ، ص ١١٩ .

(٢) Serjeant, op. cit. p. 27.

(٣) باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

.. وذكر العيدروسي أن البرتغاليين دخلوا المدينة عنوة ، فتصدى لهم الأهالي ، ودارت معارك عنيفة في شوارع المدينة ، وقتل كثير من أعيان وفقهاء الشحر الذين تصدوا لهم .[(١)] واستمر القتال ثلاثة أيام لم يترك البرتغاليون شيئا الا ونهبوه . وأسروا كثيرا من الأهالي ، الا أنهم هزموا بعد ذلك هزيمة نكراء فهربوا الى سفنهم وتوجهوا الى الهند .[(٢)]

وعاود البرتغاليون عمليات القرصنة أمام الشحر وفي البحر العربي . ففي سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م أبحر الأميرال انطونيو دا أميراندا Antonio da Amiranda ، من غوا في عشرين سفينة قاصدا البحر العربي لاعتراض السفن المتوجهة الى البحر الأحمر ، ولكنه لم يغامر بمهاجمة الشحر لوجود سفن حربية عثمانية لقربها . وقام بنفس المهمة مانويل دافاسكونسيللو Manoel da vas Concello سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢ م .[(٣)]

---

(١) العيدروسي ، النور السافر ، ص ١٣٦

(٢) باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ - ١٢٥

(٣) Milles, op. cit. p.p. 164-167 .

وفي سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥م ، قام البرتغاليون بحملة أخرى أكبر من الأولى للاستيلاء على الشحر . وكان سلطان الشحر وقتذاك بدر بن عبد الله الكثيرى ، قد أستعد لهم هذه المرة . ووقعت معركة هائلة في الميناء بين قوات السلطان بدر والبرتغاليين استطاع خلالها أن يأسر كثيرا من سفن البرتغاليين ، واستسلم معظمهم للسلطان .

وبعد انتهاء المعركة ، أرسل السلطان بدر خمسة وثلاثين أسيرا برتغاليا الى السلطان العثماني سليمان القانوني طمعا في رضا السلطان والاستعانة به فيما بعد لطلب الحماية من الدولة العثمانية ضد البرتغاليين .[1]

وبدأ السلطان بدر بن عبد الله الكثيرى في مكاتبة السلطان سليمان القانوني طالبا منه الحماية من الغارات البرتغالية[2] . وكان العثمانيون بدورهم يحاولون فرض سيطرتهم على جنوب شبه الجزيرة العربية ، للحد من نفوذ البرتغاليين على الملاحة في المحيط الهندى .

---

(١) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ٤٠٤ - ٤٠٥ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ص ٢٠٨ ؛ باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٥ .
(٢) باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٦ .

وأرسل السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م ، حملة الى الهند بقيادة سليمان باشا الخادم لقتال البرتغاليين. ومرت الحملة العثمانية على اليمن واستولت عليها بعد أن قضت على بقايا الدولة الطاهرية .[١] وبعد فشل حملة سليمان باشا في الهند ، وأثناء عودته الى عدن مرّ في طريقه الى الشحر ، وهناك أعلن السلطان بدر خضوعه للعثمانيين[٢] . ووافق السلطان الكثيرى على أداء مبلغ من المال سنويا (فريضة) للدولة العثمانية ، ومقدارها عشرة آلاف دينار أشرفي .[٣] وبذلك دخلت الشحر ضمن أملاك الدولة العثمانية وكسب سلاطين الشحر حماية أقوى دولة اسلامية في ذلك الوقت ، ونجت بذلك من الخضوع للبرتغاليين .

°°°

---

(١) انظر مايلي ص ١٦٢

(٢) اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥٤٨ ، باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) Serjeant, op. cit. p. 29;
باوزير ، نفس المرجع ، ص ١٢٨ .

(٢) تدمير البرتغاليين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي

أما عن قيام البرتغاليين بتنفيذ سياسة تدمير القوى البحرية العربية في الخليج العربي ، فبعد أن احتل البرتغاليون مراكز التجارة في الخليج ، تغيّرت الصورة القديمة للملاحة فيه من الأحسن الى الأسوأ . كان هدف البرتغاليين جعل الخليج العربي مخزنا للتجارة البرتغالية فقط ،دون أن تكون له أسواقا ومحطات تجارية هامة تعيد شحن البضائع الى شط العرب .(١)

واتبع البرتغاليون سياسة منع العرب من المتاجرة مع الهند والشرق الأقصى بكل الوسائل ، بما في ذلك مهاجمة السفن فى الخليج ، وتدمير السفن الراسية في موانئ الخليج العربي .

وقام البوكيرك بتنفيذ هذه السياسة ، منذ دخوله الخليج لأول مرة

---

(١) Milles, op. cit. p.p. 142-143.

سنة٩١٣هـ/ ١٥٠٧ م . ففي طريقه الى قلهات بعدأن أقلع من جزيرة سوقطرة ، دمّر البوكيرك كلّ مركب خليجي التقى به في طريقه[١]. وأثناء محاصرته لمراكز التجارة في الخليج العربي وبعد تدميرها أحرق البوكيرك السفن الراسية في الموانئ الاسلامية ، فمثلا عندما دمر البوكيرك قرياط ، أحرق ثمان وثلاثين سفينة كانت في الميناء ، وعندما هاجم مسقط أحرق أربع وثلاثين سفينة كانت راسية في مينائها ، وبعد مهاجمة هرمز أمر البوكيرك بحرق النقل البحرى في الخليج العربي[٢]. وذكر سوزا Sousa بأن البوكيرك أحرق أكثر من ثلاثين سفينة كانت في ميناء هرمز .[٣]

وأحكم البرتغاليون السيطرة على السفن التجارية في الخليج ، بواسطة الحصون التي أنشاؤها في كل مركز تجارى استولوا عليه ، ووضعوا فيها حاميات عسكرية للاشراف على الطريق البحرى ، كما منعوا أية

---

(١) لوريمر ،نفس المرجع ،ص ١٢ - ١٣ ؛
Milles, op. cit. p. 143.

(٢) Milles, op. cit. p.p. 144- 153

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 1. p.p. 130-131.

سفينة عربية في الخليج من ممارسة التجارة دون اذن رسمي بالملاحة من البرتغاليين.[١]

ومما ساعد على سرعة تدمير البرتغاليين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي ، سياسة القرصنة البحرية التي مارسها البرتغاليون في الخليج . وهناك أمثلة تاريخية كثيرة تؤيد هذا القول ، فعلى مقربة من قلهات استولى البوكيرك على سفينة عدنية حمولتها مئتا طن[٢] ، وذكر سوزا أن دييجو دي ميلو Diego de Mello أحد القادة البرتغاليين الذين حاصروا هرمز ، استولى في حادث قرصنة على سفينة محملة باللؤلؤ من البحرين ، وكذلك استولى فرانسيس دي تافورا Francis de Tavora - الذي رافقه في الرحلة - على سفينة تابعة لبعض تجار مكة .[٣]

وفي عام ٩٣٩هـ/١٥٣٢م ، استولى القائد البرتغالي مانويل دا فاسكونسيللو Manoel da Vasconcello ، قرب صحار على سفينة تجارية محملة بالنفائس مع غيرها من السفن الأخرى . وفي

---

(١) قدري قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٣٦٥ ؛ عبد العزيز نوار ، تاريخ العرب الحديث ، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) Milles, op. cit. p. 144.

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 1. p. 141.

نفس السنة توجه قادة آخرون هم انطونيو دا سـالدانهـا :
Amtonio da Saldanha وجون رود ريجو بارس John
Rodrigues Pars وفاسكو سامبا Vasco Sumpayo
وانطونيو فرنانديـز Antonio Fernandez الـى
الخليج العربي والبحـر العربي للبحث عن السفن العربية للاستيـلاء
عليها بعد أن تبين لهم أن القرصنـة أسهل طريق الى الثراء[1]. ويدل
هذا على أن القرصنـة البرتغاليـة لم تكن مجرد عمليات محدودة يقـوم
بها لصوص البحر ، بل كان يمارسها كبار القادة البرتغاليين .

وهكذا انتهك البرتغاليون أبسـط حقوق الانسان ، وهي الحريـة
في العمل من أجل العيش ، فالبحـر هو مورد الرزق الأكبر بالنسبـة
لمعظم سكان الخليج العربي في ذلك الوقت ، يضاف الى ذلك أن
السيطرة البرتغالية على الخليج العربي ، أضاعت ازدهاره السابق ، مما
يؤكد أن الاستعمار البرتغالي كان داعية هدم وانهيار تدفعه الى ذلك
الروح الحاقدة ضد الاسلام والمسلمين ، والشره البشع لالتهام ثرواتهم.

ە.ە

---

(١) Milles, op. cit. p.p. 166-167.

(٣) موقف أبناء الخليج العربي والعثمانيين والصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي

أما بالنسبة لمقاومة أبناء الخليج العربي للنفوذ البرتغالي ، يجدر بنا أن نتتبع من البداية مراحل هذه المقاومة . فرغم خضوع أهالي الخليج للسيطرة البرتغالية من حيث المظهر ، الا أنهم لم يستكينوا مدة طويلة لما حلّ بهم من دمار وضياع لثرواتهم وحريتهم. فقد قاوموا السيطرة البرتغالية بشتى الوسائل ، حتى انتهوا أخيرا الى انهاك قوتهم ، واستعادة كثير من المواقع على ساحل الخليج في مطلع القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى .

وأول مقاومة عنيفة للغزو البرتغالي قام بها أهالي الخليج العربي سنة ٩٢٨هـ/١٥٢١م ، بعد سبع سنين من احتلال هرمز مفتاح الخليج العربي . فقد انتفض الخليج انتفاضة عامة ، اجتاحت مراكز التجارة في الخليج العربي من قلهات وحتى البحرين. وكانت هذه الحركة بزعامة شيخ هرمز شاه بندر الذى كان يخضع وقتذاك للبرتغاليين .

ورغم ارجاع بعض الباحثين [١] سبب هذه الانتفاضة الى السيطرة

---

(١) Milles, op. cit. p. 158;
لوريمر ،نفس المرجع ،ص ١٤ - ١٥ ؛ صلاح العقاد ،نفس المرجع ص١٩

البرتغالية على الموارد التجارية ، وتعسفهم في جمع الأموال ، الا أن تتبع سيرة البرتغاليين في الشرق عامة وفي الخليج خاصة ، تبين لنا أن هناك أسبابا عديدة لمحاولة أهالي الخليج العربي خلع نير البرتغاليين . وأهم هذه الأسباب روح القسوة والظلم التى نشرها البرتغاليون في الخليج العربي ، وعدم احترامهم لحرية وعقيدة أهالي الخليج الاسلامية ، وتحطيمهم لتجارة الخليج العربي ، وحالة الفوضى التي عمت الخليج ، بعد ممارستهم لعمليات القرصنة ، وعدم استماعهم الى شكاوى الأهالي والحكام ، كل ذلك كان سببا للسخط الدائم ضد البرتغاليين .

ابتدأت المقاومة ضد البرتغاليين بعد أن أرسلت المعلومات من هرمز الى جميع المراكز الأخرى على الساحل الغربي ، وحددت يوم ٣٠ نوفمبر ١٥٢١م (٩٢٨هـ) . وفي الموعد المحدد قام شيخ هرمز شاه بندر بالخطوة الأولي ، فأمر بحرق المراكب البرتغالية في الميناء، وتم قتل الحامية البرتغالية القائمة فى الجزيرة ليلاً[1] . وقامت بقية

---

(١) Milles, op. cit. p. 158;

لوريمر ،نفس المرجع ، ١٤-١٥ ؛ صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ١٩ .

المراكز التجارية العربية في الخليج بتنفيذ المهمة المتفق عليها فهاجموا البرتغاليين ، وأسروا كثيرين منهم ، ماعدا حاكم مسقط الشيخ راشد ، الذى كان على خلاف مع شيخ هرمز ، فأعلن خضوعه للبرتغاليين ولم ينفذ المهمة . وأعطى هذا الفرصة للبرتغاليين لطلب النجدة من الهند والمقاومة لعدة شهور حتى تصل اليهم المساعدة .(١)

ووصلت النجدة الأولى بقيادة دوم جونزالو Dom Gonzalo الذى عزز علاقات البرتغاليين مع حاكم مسقط . وحاول استعادة الأسرى من بعض موانئ الخليج العربي .(٢)

وفي سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٢م ، وصلت النجدة الثانية للبرتغاليين بقيادة دوم لويزدى منزيس Dom Luiz de Menezes والذى توقف عند " طيوى " وهاجمها وأوقع بحاكمها الهزيمة . ثم سار الى مسقط وهاجمها ، بعد أن هرب الشيخ راشد وتركها للحاكم الفارسي دلامير شاه . وبعد أن أخضع القائد البرتغالي مسقط

---

(١) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ١٩ ؛
Milles, op. cit. p.p. 158 -159.

(٢) Milles, op. cit. p.p. 159-160.

بمعاونة الشيخ راشد ، توجه الى صحار ودمرها ، ثم اتجه الى هرمز وقضى على مسببي الانتفاضة وأعاد حكم البرتغاليين الى الجزيرة ، فوضعوها تحت اشرافهم وحكمهم المباشر سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م.(١)

وفى سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٦م قامت انتفاضة جديدة من جانب شيخ هرمز وأهالي عمان في مسقط وقلهات ، ووصلت أنباءها الى الهند ، فأبحر لوبوفاز Lopo Vas مع خمس سفن فى سنة ٩٣٤هـ (مايو ١٥٢٧م) لقمع هذه الانتفاضة ، فرسا أول الأمر في قلهات حيث عقد صلحا مع أهالي المدينة ووعدهم بازالة المظالم عنهم . وواصل سيره بعد ذلك الى مسقط ، حيث اتبع نفس السياسة ثم اتجه الى هرمز فخضعت له من جديد .(٢)

ورغم حركات القمع الشديدة التي مارسها البرتغاليون ضد أبناء الخليج ، الا انهم لم ييأسوا ولم يركنوا الى الاستسلام والضعف ففي سنة ٩٣٦هـ/١٥٢٩م قام أهالي البحرين بانتفاضة ضد السيطرة

---

(١) Milles, op. cit. p.p. 160-161;
لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٤ - ١٥.

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٥ ؛
Milles, op. cit. p. 163.

البرتغالية . وكان في هرمز آنذاك دوم نونو دي كونها[1] Dom Nuno de Cunha الذى عين نائبا للملك في الهند ، جاء اليها وهو في طريقه الى الهند ، سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م وأثناء وجوده في هرمز اندلع القتال في البحرين ضد البرتغاليين . وحاول دى كونها قمع هذه الحركة ، ولكنه فشل فشلا ذريعا ،وقتل في المعركة أخوه سيمون دى كونها Simon de Cunha ، فعاد أدراجه الى هرمز ومنها الى الهند .[2]

ولم يكتف أهالي الخليج العربي بهذه الحركات الجهادية ضد البرتغاليين ، بل عملوا على قطع الامدادات عن هرمز ، أكبر معاقلهم في الخليج العربي . ففي سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٥ م حاول البرتغاليون شن حملة بحرية على نخيلوه التي تقع على ساحل الخليج العربي ، بعد أن عانوا المتاعب الكبيرة بسبب منع سكان نخيلوه وصول المؤن

---

(١) Milles, op. cit. p. 164.

(٢) سيد نوفل ،نفس المرجع،ص ٤٣ ؛

Milles, op. cit. p. 166.

الى هرمز.[١] وكانت الحملة البرتغالية بقيادة بيتر بيريرا Peter Pereyra ، الذى رافقه كثير من النبلاء وحوالي ستمائة رجل ، ولكنهم قبل أن يصلوا الى الساحل ظهر أهالي نخيلوه على حين غرة ، وأوقعوا بالبرتغاليين الهزيمة ، وقتلوا منهم أكثر من مائتين وخمسين رجلا ، عدا من غرق منهم .[٢]

وهكذا فشلت الحملة البرتغالية وانتصر أهالي نخيلوه. وتطلع أهالي الخليج الى قوة اسلامية كبرى تقف الى جانبهم ضد البرتغاليين ألا وهى الدولة العثمانية التي انتصرت على الصفويين وقتذاك ،ودخلت الى العراق ووصلت الى الخليج عبر البصرة .

وقد نتساءل لماذا لم يلجأ سكان الخليج العربي الى الصفويين رغم أنهم حكام دولة إسلامية مجاورة للخليج ؟

الحقيقة أن سكان الخليج العربى نظروا الى الدولة العثمانية على أنها حامية الحرمين الشريفين ، وهي الملجأ وقتذاك للعالم

---

(١) Sousa, op. cit. Vol . 3. p. 30;
لوريمر ، نفس المرجع ،ص ١٨-١٩.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 3. p. 30 .

الاسلامي في الظلمات . يضاف الى ذلك أن الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، كانت دولة عظمى ، ودولة بحرية أيضا لها أساطيلها في البحر المتوسط ، وتستطيع انزال أسطول بحرى في الخليج العربي ، عن طريق السويس ، يواجه الأسطول البرتغالي . هذا بالاضافة الى تفوق العثمانيين على الصفويين من ناحية التسليح الحربي .

ووافق العثمانيون على التدخل لاعانة إخوانهم في الاسلام ، ولأن مصالحهم في الخليج العربي واضحة ومشتركة ، خاصة مواجهة عدوين لهم ، هما البرتغاليون والصفويون .

ولا نستطيع القول بأن استنجاد العرب في الخليج بالعثمانيين سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م هو فاتحة تدخلهم فيه ، حيث أن استيلاءهم على البصرة في سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م ، كان يعتبر فاتحة تواجدهم الفعلي في هذه المنطقة .(١)

---

(١) انظر ماسبق ص ١٢٧، ١٢٨

وبعد خروج العثمانيين من القطيف سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م، بعث السلطان سليمان القانوني ، بحملات منظمة من السويس الى الخليج العربي لمواجهة الخطر البرتغالي . وسار على نهجه بقية السلاطين من بني عثمان حتى عام ٩٨٩ هـ/ ١٥٨١م .

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها بعض الباحثين[1] الى قادة تلك الحملات العثمانية لعدم تحقيقهم انتصارات حاسمة ضد النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، الا أن هذه الحملات أضعفت ولاشك ذلك النفوذ ، وشتّت قوى البرتغاليين ، وكانت أحد أسباب انهيار القوة البرتغالية في الخليج العربي مع بداية القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى .

ومن الحملات العثمانية ضد البرتغاليين ، تلك الحملة التي أرسلها السلطان العثماني سليمان القانوني بقيادة القبطان يرى محيي الدين رئيس - وهو ملاح وجغرافي بارع[2] - وقد سار بيرى رئيس بحملته متجها

---

(١) Milles, op. cit. p.p. 170-175;
سيد نوفل ، نفس المرجع ص ٤٣٤ ؛ لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية مادة بيرى رئيس .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بيري رئيس .

الى الخليج العربي سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م مع ستة عشر ألف محارب وثلاثين سفينة .[١] وفي طريقه مرّ على عدن واستردها مرة أخرى ، بعد ذلك الى الشحر ، وهناك فقد عدة سفن له نتيجة عاصفة قوية ورسا أخيرا أمام مسقط .[٢]

وكان الحاكم البرتغالي آنذاك في هرمز ،هو الفارو دى نورونها Alvaro de Noronha الذى وصلته أنباء الحملة العثمانية فأرسل سفنه للتجسس في الخليج والبحر العربي . ولما تأكد له الخبر، بعث الى غوا طالبا النجدة .[٣]

وحاصر بيرى رئيس مسقط لمدة شهر تقريبا[٤] ، وقصفها بمدافعه

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 163,
اسماعيل سرهنك ،نفس المرجع ،ص ٥٤٩ ؛
Milles, op. cit. p. 168.

(٢) Milles, op. cit. p.p. 168-169;
دائرة المعارف الاسلامية ، مادة بيرى رئيس .

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 163; Milles , op. cit. p.p. 168-169.

(٤) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 164.

حتى أجبر حاكمها البرتغالي جون دى لسبوا John de Lisboa على الاستسلام هو والحامية . ثم اتجه بيرى رئيس بعد ذلك الى هرمز واستولى عليها ماعدا القلعة التي تحصن فيها القائد البرتغالي والتي لم تؤثر فيها المدافع العثمانية . ثم سار بيرى رئيس الى قشم ، نظرا لتحصن كثير من البرتغاليين بها ،واستولى عليها وغنم منها غنائم كثيرة .(١)

بعد ذلك اتجه أمير البحر بيرى رئيس الى البصرة ، بعد أن أصابت سفنه الكثير من الأضرار(٢) . وعند ما بلغته أنباء وصول النجدة البرتغالية من غوا ، ترك معظم سفنه في البصرة ، وعاد بثلاث سفن متجها الى البحر الأحمر ، ولكنه فقد احداها عند جزيرة البحرين ثم وصل الى مصر بسفينتين فقط . وهناك جاء الأمر من استانبول بإعدامه نظير فشله في مهمته .

لقد اتهم المستشرقون أمير البحر بيرى رئيس بكثير من التهم ، منها ما يذكره مايلز(٣) Milles ، بأنه بعد استسلام

---

(١) Sousa. op. cit. Vol. 2. p. 164.

(٢) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ،ص ٥٤٩.

(٣) Milles, op. cit. p.p. 169-170 .



مسقط ، قام بقتل الأسرى حتى الجرحى والمرضى منهم ، ثم ربط الباقين بالسلاسل الى السفن ، وأن غرضه الأساسي من الحملة هو جمع الثروة . واتهمه البعض بأنه تلقى الرشوة نظير رفع حصاره عن هرمز .(١)

ولا شك أن هذه الإتهامات تحتوى على كثير من المبالغة وتدل على روح الحقد ضد المسلمين . ويكفى أن المؤرخ البرتغالي سوزا Sousa الذى يمتلىء كتابه بروح التحامل على الاسلام والمسلمين ، لم يذكر أى اتهام من هذه الاتهامات ، بل أنه قال في قضية الأسرى بأن بيري رئيس قد أجبر القائد البرتغالي المأسور وستين رجلا معه على العمل كبحارة ، وأنه قد تمت فدية بعضهم فيما بعد ، ولم يذكر أنه قد قتل أياً منهم .(٢)

ولم توقف الدولة العثمانية حملاتها ضد البرتغاليين ، ففي سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٢م جهزت حملة أخرى بقيادة مراد بك ، الذى كان قد

---

(١) سيديو ، نفس المرجع ، ص ٤٣٤ ، انظر أيضا دائرة المعارف الإسلامية ، مادة بيري رئيس .

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 164 .

واجه البرتغاليين مرة في القطيف سنة ٩٥٧هـ/١٥٥٠م. وكانت الأوامر الصادره الى مراد بك ، تأمره بتجهيز السفن في ميناء البصرة للخروج للقاء البرتغاليين في الخليج العربي . فخرج في سبع عشرة سفينة ، وعند رأس مسندم ، وقعت معركة بحرية بينه وبين القائد البرتغالي ديجو دي نورونها Diego de Noronha ، فهزم فيها وقتل عدد من قادة أسطوله ، مما اضطر مراد بك الى الرجوع الى البصرة .(١)

وفي سنة ٩٦١هـ/١٥٥٣م بعث السلطان سليمان القانوني قائدا أكثر مهارة وخبرة في البحار ، يدعى سيد علي ريس حسين . وهو عالم فلكي شهير له مؤلفات في علوم البحار ، أشهرها كتاب سماه المحيط.(٢)

خرج سيد علي رئيس من استانبول الى حلب ، فالموصل ، وبغداد فالبصرة ، وهناك باشر في اصلاح السفن ، وبنى سفنا جديدة ،وأخيرا

---

(١) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ،ص ٥٤٩ ؛
Milles, op. cit. p. 171

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ،ص ١٣ ؛
Milles, op. cit. p. 172,

اسماعيل سرهنك ،نفس المرجع ،ص ٥٤٩ - ٥٥٠ .

أبحر من البصرة في عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م .[١] وكان الاسطول البرتغالي ثلاثة أضعاف سفن سيد علي ريس[٢] بقيادة فرنا ند يز دى منزيس Fernandez de Menezes وانطونيو دى نورونها Antonio de Noronha ،[٣] وتقابل الاسطولان العثماني والبرتغالي مقابل خليج ليمه ، بالقرب من رأس مسندم على الساحل العماني . ووقعت معركة انتصر فيها المسلمون ، وأغرقوا كثيرا من سفن الأعداء . ثم تتبع العثمانيون أعداءهم الى مسقط ، ودارت معركة ثانية بالقرب منها ، هبت خلالها عاصفة عاتية شتتت سفن سيد علي ريس ، وجرفت أمامها كثيرا من سفنه ، وصلت الى ميناء شابار ، في مكران على الساحل الفارسي المطل على خليج عمان .[٤]

وفي شابار تزود القائد العثماني بالمؤن ، ثم واصل سيره متجها الى اليمن ، وقرب ظفار ، هبّت عاصفة قوية غربية ، جرفتهم الى سواحل

---

(١) Cook, op. cit. p. 99; Milles, op. cit. p.p. 172-173.

(٢) اسماعيل سرهنك ،نفس المرجع ،ص ٥٤٩ - ٥٥٠ .

(٣) Milles, op. cit. p. 173

(٤) Cook, op. cit. p. 99; Milles, op. cit. p.p. 176-177 .

الهند ، وهناك لجأ سيد علي ريس الى ملك كجرات في الهند ، وسرّح معظم جنده ، وسار مع خمسين من أتباعه قاطعا بلاد الهند برا الى فارس ثم الى الأراضي العثمانية .[(١)]

وعاود العثمانيون بعد ذلك هجومهم على المراكز البرتغالية في الخليج ، ولكن بشكل متقطع حتي سنة ٩٨٩ هـ/ ١٥٨١م . ففي هذه السنة وأثناء حكم السلطان مراد الثالث[(٢)] ، أرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة الريس أمير علي بيك ، الذى كان تحت إمرة الوالي العثماني في اليمن . وسارت الحملة في أربع سفن إلى الخليج العربي . وفي الطريق فقد الريس أمير على احدى سفنه ،وأخيرا ألقى مراسيه قرب مسقط . وبمساعدة عرب مسقط استطاع أن يحاصرها .

وجاءت النجدة الى البرتغاليين في مسقط من هرمز بقيادة لويس دى الميدا Luiz de Almeyda مع ثماني سفن . وبدلا من أن يهاجم القائد البرتغالي العثمانيين ، سار الى موانيء جوادر وتيس

---

(١) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٥٠ - ٥٥٦ ؛
Milles, op. cit. p.p. 1Ø7- 178.

(٢) Cook, op. cit. p.p. 99-100 .

على ساحل مكران ونهبها ودمرها .[١]

واستطاع أمير علي بيك أن ينزل بالبرتغاليين هزيمة ساحقة في مسقط . وبعدها سار إلى عدن ، ومن ثم إلى شرق افريقية . وهناك هاجم المراكز البرتغالية في ممباسا ، وماليندى . وفي إحدى المعارك هناك سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م وقع الريس أمير علي في أسر البرتغاليين ، فأرسلوه إلى لشبونة حيث حاولوا تنصيره بالقوة ، ومات هناك نتيجة التعذيب .[٢]

هذه هي أهم الحملات العثمانية الى الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي . ولعل السبب الرئيسي في عدم قدرة العثمانيين القضاء على البرتغاليين نهائيا في الخليج العربي هو بعد مراكز بناء الأساطيل العثمانية في البحر المتوسط عن المحيط الهندي والخليج العربي ، وصعوبة نقل الأخشاب لتصنيع السفن في البصرة .[٣]

كما أن تفكك العالم الإسلامي وانتشار المنازعات فيه ، أعاق قيام

---

(١) Milles, op. cit. p. 181 ;
لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٨- ١٩ .

(٢) Milles, op. cit. p. 181.

(٣) Cook, op. cit. p.p. 99- 100;
صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢٠ .

تحالف اسلامي بين العثمانيين والصفويين ، وامبراطورية الهند المغولية الاسلامية . ولو حدث مثل هذا التحالف ، لتمكن المسلمون وقتذاك من القضاء على البرتغاليين نهائيا في المحيط الهندى .[1]

أما عن موقف الصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي فقد كان لتطور العلاقات بين العثمانيين والصفويين أثره الكبير في موقف الصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي .

كان اعلان الشاه اسماعيل الصفوى المذهب الشيعي مذهبا لدولته سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ، سببا في اضطهاد أعداد كبيرة من أهل السنة داخل دولته وخارجها .[2] وأتاحت عمليات الاضطهاد هذه ، تكوين آراء ضد اسماعيل الصفوى ومذهبه تنادي بأن مذهبه يهدف الى الاضرار بالمسلمين عامة .[3]

---

(١) Milles, op. cit. p. 171.

(٢) النهروالي ، الاعلام ، ص ٢٧٥-٢٥٩ ؛
Savory, Safavid persia, in The Cambridg history of Islam, Vol. 1. p.p. 398- 399.

(٣) الشيلي ، السنا الباهر ، ورقة ٤٤ - ٤٥ ؛ النهروالي ، البرق اليماني ص ٢٧٥ ؛ الغزى ، الكواكب السائرة ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ ؛ ابن العماد شذرات الذهب ، ص ٨٦- ٨٧.

وانتشرت هذه الآراء بعد أن أخذ الشاه اسماعيل في توسيع حدود دولته غربا ، فاستولى على العراق ،ومد نفوذه إلى شمال الشام والأناضول . كما يحمل الشاه اسماعيل على نشر مبادئ مذهبه داخل أراضي الدولة العثمانية ، مما جعل الدولة العثمانية السنّية تعتبر هذا عدواناً سياسياً سافراً ضدها .(١) يضاف الى ذلك أن استنجاد أهل السنة بالدولة العثمانية كان سبباً لأن تشن الدولة العثمانية الحملات ضد الصفويين ، وتنزل بهم الهزائم المتتالية .

وبحث الصفويون عن حليف قوى يساعدهم ضد الدولة العثمانية، حتى لو كان هذا الحليف من الصليبيين أعداء الإسلام . وحاول الشاه اسماعيل الصفوى التحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية بعد هزيمة شالديران سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م منتهزا عداوتهما معا ضد العثمانيين .(٢) وفي سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م أرسل الشاه اسماعيل رسوله إلى البوكيرك ، الذى كان قد جاء إلى هرمز لإخضاعها مرة أخرى ،

---

(١) Cook, op. cit. p.p. 64-65 ; Savory, op. cit. p.p. 399- 400;

اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ،ص ٥٢٥ - ٥٢٦ ؛ عبدالعزيز نوار، العلاقات العراقية الايرانية ،ص ١١ .

(٢) عبدالعزيز نوار ،تاريخ العرب الحديث ،ج ١ ،ص ٧٠ .

يطلب من البرتغاليين مساعدته ضد الدولة العثمانية ، وقيام تحالف بينهما . كما طلب الشاه اسماعيل من البوكيرك تقديم سفن برتغالية لتمكنه من غزو البحرين والقطيف في مقابل أن يتنازل للبرتغاليين عن ميناء جوادر على ساحل بلوخستان . ولم يتم هذا التحالف نظرا لموت البوكيرك .(١)

أما المحاولة الثانية لقيام تحالف بين الصفويين وبين أعداء الدولة العثمانية في الخليج العربي ، فكانت في نهاية القرن العاشر الهجرى عندما اعتلى عرش فارس الشاه عباس الصفوى (٩٩٦ هـ-١٠٣٨هـ ١٥٨٧م- ١٦٢٩م) . فبعد أن أخذت شمس البرتغاليين في الأفول تحالف الشاه عباس مع الانكليز ووجد فيهم عملاء أفضل من البرتغاليين ، فمنحهم إمتيازات تجارية في الخليج العربي وسمح لهم بإقامة وكالة تجارية لهم في جاسك على الساحل الفارسي ، على أن يمدوا فارس بالمعونة الحربية ، كما سمح للنصارى بالإقامة فى ضاحية مستقلة من ضواحي اصفهان .(٢)

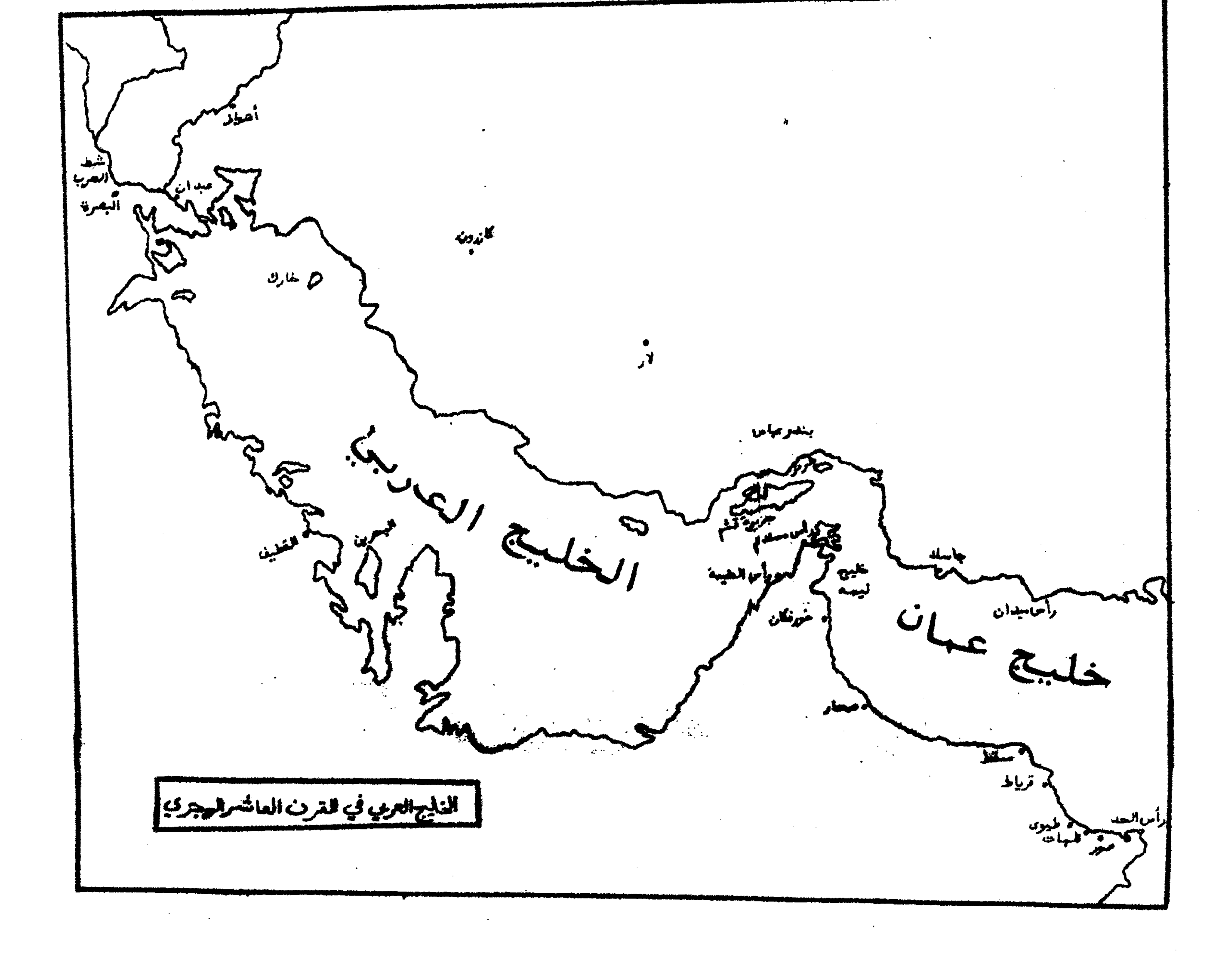
---

(١) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ١٧ - ١٨ ؛ لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٤ .

(٢) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢٣ - ٢٤ ؛ عبد المنعيم حسنين نفس المرجع ، ص ٢٤ .

هذه السياسة التي اتبعها الشاه عباس ، مهدت لتنافس القوى
الأوربية للسيطرة على تجارة الخليج ، بعد أن أخذ نفوذ البرتغاليين
في الاضمحلال في نهاية القرن العاشر الهجرى .

-•-



الخليج العربي في القرن العاشر الهجري
الخليج العربي
خليج عمان
شط العرب
البصرة
عبادان
أحواز
خارك
كازرون
لار
القطيف
البحرين
بندر عباس
جزيرة قشم
رأس مسندم
خورفكان
صحار
مسقط
قريات
رأس الحد
جاسك
رأس ميدان

الفصل الرابع

نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري

١- محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها إلى موانئ مصر والشام .

٢- تحالف البرتغاليين مع الأحباش ضد القوى الاسلامية .

٣- بداية التنافس بين القوى الأوربية للسيطرة على تجارة الخليج العربي

(١) محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها الى موانيء مصر والشام

٥٥٥

أشرنا في الفصل الثالث الى محاولة البرتغاليين الهجوم على الشحر التي تمثل مركز الجنوب العربي بعد عدن في الأهمية التجارية، لكي يؤمنوا وجودهم في الخليج العربي ، ولكي يقطعوا الطريق علي العثمانيين أثناء مهاجمة مراكزهم في الخليج .

وأدرك البرتغاليون بأن تأمين وجودهم في الخليج لا يتأتى الا بمهاجمة البحر الأحمر الذى يمثل أهم مراكز القوة العثمانية .

ودافع العثمانيون عن البحر الأحمر بشراسة نظرا لأن الأماكن المقدسة في الحجاز تطل على ذلك البحر ، وحاولوا انقاذ الخليج العربي من براثن البرتغاليين بشن الحملات اليه من البحر الأحمر.

هاجم البرتغاليون موانىء البحر الأحمر وخاصة الموانىء الواقعة في مدخله ، وحققوا بذلك بعض ما أرادوه حيث أعاقوا وصول كثير من المتاجر الى موانىء مصر ، ولم يستطع البرتغاليون منع وصول المتاجر الشرقية منعا تاما - خاصة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجرى - نظرا لضراوة المقاومة العثمانية .

وكما خطط البرتغاليون لمهاجمة مدخل البحر الأحمر ، قاموا أيضا بالتحالف مع الأحباش ضد القوى الاسلامية التي تطل على البحر الأحمر . فالشاطىء الشرقي لافريقية لم يكن له فائدة تجارية بالنسبة للبرتغاليين سوى الحصول على الذهب والعاج وتأسيس قاعدة لهم على طريق الشرق .[1]

أما الهدف الأساسى للبرتغاليين من التحالف مع الأحباش ، فهو تكوين تحالف صليبي لتشتيت وإضعاف القوى الإسلامية في شرق افريقية ، وكذلك قوة الدولة العثمانية حتى تتراخى قبضة المسلمين على البحر الأحمر .

---

(١) Chttik. The East Coust Madagascar and the Indian Ocean, in Cambrdge History of Africa, Vol. 3. p. 227.

أدرك العثمانيون بعد سقوط سلطنة المماليك سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م أهمية اليمن ومدخل البحر الأحمر بالنسبة لتجارة البرتغاليين ،واصرارهم على مهاجمة الأماكن الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولم يطمئن السلطان سليم العثماني لولاء القوات المملوكية باليمن رغم إعلان قائدها اسكندر الجركسي الولاء للدولة العثمانية ، ورغم توليه حكم اليمن بتفويض من السلطان سليم نفسه [1]. لذلك عين السلطان سليم من قبله حسين الرومي واليا عثمانيا على جدة لمراقبة الاوضاع في البحر الأحمر [2].

يضاف الى ذلك أن الأشراف في الحجاز أعلنوا خضوعهم للدولة العثمانية مما سّهل للعثمانيين مهمة المقاومة في البحر الأحمر ضد البرتغاليين .

وفي سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧ م شن البرتغاليون حملة على مدخل البحر الأحمر بقيادة لوبو سواريز Lopo Soares خليفة البوكيرك

---

(١) النهروالي ، البرق اليماني ، ص ٣٣ ؛ يحيي بن الحسين ، غاية الاماني ، ج٢ ، ص ٦٥٦ ؛ عبد الحميد البطريق ، من تاريخ اليمن الحديث ص٢٢

(٢) البطريق ، نفس المرجع ، ص ٢٢ - ٢٣ .

الذى سار الى جدة للاستيلاء عليها [1] ، واستعد القائدان التركيان في جدة سلمان ريس وحسين الرومي لمواجهة هذا الخطر البرتغالي بعد أن وصلتهما أنباء الحملة . وطاردا البرتغاليين حتى كمران ، واستوليا على واحدة من سفنه ، وعادا إلى جدة ، وأرسلا الأسرى إلى السلطان العثماني . وفي كمران لم يستطع سواريز البقاء طويلا ، فأبحر إلى زيلع وأحرقها ، ثم عاد إلى عدن وحاصرها . ولما واجه مقاومة شديدة بها عاد إلى هرمز ثم الى غوا في الهند . [3]

وفي سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠ م جاء البرتغاليون إلى عدن في حملة أخرى بقيادة دييجو لوبيز دى سيكيرا ، ورسا أول الأمر في دهلك ، فوصلت أخباره الى حسين الرومي النازل في زبيد فأسرع الى جدة للدفاع عنها . [4]

---

(١) Serjeant, op. cit. p. 17;
محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٩ ؛ يحيي بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٦٥٨ .

(٣) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٣ ؛ محمد البحراوى ، نفس المرجع ، ص ٨٠ ؛
Serjeant, op. cit. p. 17.

(٤) يحيي بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٦٦٣ ؛
Serjeant, op. cit. p. 18.

واستنجد الشريف بركات بالدولة العثمانية ، فبعث اليه والي مصر بنجدة كبيرة الى جدة .[١]

ولما وصل القائد البرتغالي إلى جدة وقد تحطمت بعض سفنه بفعل العاصفة ، وجد مقاومة العثمانيين العنيفة واستعداداتهم الضخمة ، فعاد هاربا الى جزر دهلك ثم عدن فزوده حاكمها مرجان الظافرى بالمؤن وأقلع متجها الى الهند .[٢]

ورد العثمانيون على المحاولات البرتغالية المتكررة بأن عملوا على تنظيم الشئون البحرية والادارية بميناء السويس ، وجعلوه قاعدة كبرى لشن حملاتهم في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندى .[٣]

ولم يستقر الأمر طويلا للعثمانيين في اليمن حيث اشتدت المنازعات

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣١٣ ؛ ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، جـ ٢ ، ص ١١٤ .

(٢) يحيي بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٦٦٣ .

(٣) Cook, op. cit. p. 90 ; Shaw, op. cit. Vol. 1. p. 100

بينهم وبين بقايا المماليك والزعماء من أهالي البلاد حتى سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م ، حين تواترت الأنباء الى السلطان العثماني سليمان القانوني بازدياد هجوم البرتغاليين على عدن ، وازدياد هجماتهم على المسلمين في سواحل الهند . فأمر السلطان سليمان القانوني والي مصر سليمان باشا الخادم ببناء أسطول جديد في السويس للتصدى لهم في اليمن وفي المحيط الهندى .(١)

وفي اليمن استطاع سليمان باشا الخادم أن يخضع عدن للعثمانيين ويقتل حاكمها عامر بن داوود الطاهرى ، ويولي واليا عثمانيا من أتباعه . وبعد عودته من الهند ، أخضع مخا والصليف وجيزان كما حصّن جزيرة كمران .(٢)

---

(١) النهروالي ،البرق اليماني ،ص ٧٠-٧١ ؛ السيد رجب حراز ،الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ،ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) النهروالي ، البرق اليماني ،ص ٨٠ - ٨١ ؛ يحيي بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٦٨٤ ؛ السيدرجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ،ص ٧٥ ؛ فاروق اباظة ،عدن والسياسة البريطانية ،ص ٥٣ .

وفي سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م قاد ستيفن دي جاما Stephen de Gama حاكم الهند البرتغالي حملة كبرى الى البحر الأحمر مع أخيه كريستوفر لمهاجمة معاقل الأتراك . وقد رسا أول الأمر في مصوع ثم سار إلى سواكن فاستقبله حاكمها خوفا من أن يدمر ستيفن دي جاما المدينة . وانتهز حاكم سواكن الفرصة وأرسل انذارا الى العثمانيين في السويس يخبرهم بقدوم البرتغاليين . فلما سار القائد البرتغالي الى السويس وجد استعدادا ضخما من العثمانيين لمواجهته ، وفاجأوه وأوقعوا به الهزيمة ، وتراجع البرتغاليون الى مصوع ، وبذلك فشلت هذه الحملة البرتغالية إلى البحر الأحمر أيضا .[1]

ولم يترك البرتغاليون أية فرصة تسنح لهم للإستيلاء على عدن مفتاح البحر الأحمر . ففي سنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م استغل أحد الأمراء المحليين في اليمن ـ وهو علي بن سليمان البدوى أمير خنفر ـ إنشغال العثمانيين بالحروب في شمال اليمن ، فاستولى على عدن وسعى

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (2).p.p.12 - 23 ;
السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ،ص ٢٩ .

إلى التحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية .[١] وأرسل والـــي مصـــر داود باشا حملـة كبرى الى عدن استولت عليها ، وقتلت علي بن سليمان البدوى سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨ م. أما البرتغاليون فجاءوا الـــى عدن متأخرين حيث وجدوا حليفهم قد انتهى أمره .[٢]

وفي سنة ٩٧٦ هـ/ ١٥٦٨ م حاول قاسم بن شويع أمير عدن ـ الذى ينتمي الى طائفة الزيدية ـ التحالف مع البرتغاليين ضد الدولـــة العثمانية ، فاستدعى عشرين منهم إلى قلعة عدن وأراهم قوة التحصينات في مدينة عدن ، وطلب منهم مواجهة العثمانيين من ناحية البحر بينمـا يقوم هو بمنازلـة العثمانيين برا . وتم الاتفاق بين الطرفين على إرسال قـوة عسكريـة برتغاليـة من غوا لمساندة قاسم بن شويع ضد الدولة العثمانيـة . وجردت الدولة العثمانية حملـة بقيادة الأمير خير الدين القبطان وأخيـه الأمـير سنان لاسترداد عدن من أيدى الأئمة الزيدية في اليمن .

---

(١) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٣٤ ؛ النهروالي ، البرق اليمانى ص ١٠٠ - ١٠١ ؛ العبدلي ، هدية الزمن ، ص ٩٩ .

(٢) النهروالي ، البرق اليمانى ، ص ١٠٠ - ١٠١ ؛
Serjeant, op. cit. p. 20 .

ووصل القائدان العثمانيان إلى عدن قبل وصول القوة البرتغالية، وطارد الأمير خير الدين القبطان السفن البرتغالية حتى ولّت فرارا وعاد إلى عدن واستردّها بعد قتل قاسم بن شويع .[1]

وفي أثناء فترة حكم نائب الملك في الهند دوارت دى مينزيس Dourt de Meneses (١٥٨٤م - ١٥٨٨م) هاجم القائد البرتغالي كامارا Camara مدخل البحر الأحمر وتوغل فيه حتى جزيرة كمران ، ولكن العثمانيين تصدوا له عند الجزيرة وشتتوا سفنه ، فعاد إلى هرمز يجر أذيال الفشل .[2]

وهكذا استطاع العثمانيون أن يحافظوا على البحر الأحمر بحيرة إسلامية رغم أن البرتغاليين كانت لهم مراكز تموين لسفنهم قريبة جدا من البحر الأحمر في الخليج العربي . ولا شك أن البرتغاليين استغلوا نفوذهم في الخليج العربي لتدمير طريق التجارة المار في البحر الأحمر عن طريق مهاجمة المراكز البحرية العثمانية المطلة عليه ، وممارسة أعمال

---

(١) النهروالي : البرق اليماني ، ص ٢٤٩ - ٢٥٣ .

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 3. p.p. 29- 30 .

القرصنة عند مدخله وعلى سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية كما سبق أن ذكرنا .[١]

ولمواجهة خطر تلك المحاولات التي قام بها البرتغاليون للسيطرة على تجارة السلع الشرقية ، قام العثمانيون بعدّة جهود لعرقلة النشاط التجارى البرتغالي في المحيط الهندى ، ولفك الحصار الذى فرضه البرتغاليون على طرق التجارة المارة عبر الخليج العربي والبحر الأحمر . ومن هذه الجهود تلك الحملة التى قام بها الأمير مصطفى الرومي من مخا في اليمن الى جزيرة ديو قرب الساحل الهندى سنة ٩٣٨هـ/١٥٣١م . وكانت ديو تابعة لسلطان كوجرات بهادر شاه ، وولى عليها توغن بن مالك اياس . فلما وصل الأمير مصطفى الرومي الى ديو أكرم وفادته السلطان بهادر شاه وولاه حكم جزيرة ديو ولقبه رومي خان . وفي جزيرة ديو تصدى الأمير مصطفى لكثير من الغارات التي شنها نائب الملك البرتغالي في الهند نونو دى كونها Nuno de Cunha (١٥٢٩م - ١٥٣٨م) ، وانزل بالبرتغاليين هزائم متتالية .[٢]

---

(١) انظر ماسبق ص ١٢٩-١٢١ ، ١٥٨-١٦٥

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٥٧ ، النهروالي ، البرق اليماني ص ٥٥ ؛

Macgregor, op. cit. p. 607

وفي سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م دخل بهادر شاه حاكم كوجرات بالهند في حرب مع سلطان الدولة المغولية الإسلامية همايون.[١] فلما رأى بهادر شاه الخطر محدقا به استنجد بنونودى كونها نائب الملك البرتغالي في الهند ، وعقد معه معاهدة تنازل له بموجبها عن عدة موانيء ، وسمح له ببناء قلعة برتغالية في ديو . وبناء على هذه المعاهدة تم بناء القلعة البرتغالية سنة ٩٤٢-٩٤٣هـ/ ١٥٣٥ ١٥٣٦م .[٢] وبعد زوال خطر همايون عن مملكة كوجرات ، نقض بهادر شاه معاهدة الصلح ودخل في حرب مع البرتغاليين فهزموه وقتل في المعركة سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٦م وبذلك استولى البرتغاليون على جزيرة ديو .

وعندما بلغت هذه الأخبار أسماع السلطان سليمان القانوني أمر واليه على مصر سليمان باشا الخادم بمنازلة البرتغاليين في المحيط الهندى . ووصل سليمان باشا إلى الهند فى سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م في مائة سفينة وعشرون ألف جندى . وبادر سليمان باشا

---

(١) زين الدين ، تحفة المجاهدين ،ص ٥٨ - ٥٩ ؛ جمال الدين الشيال ، دولة أباطرة المغول في الهند ،ص ٤٧

(٢) Serjeant, op. cit. p.p. 18-19; Macgregor, op. cit. p. 607; Cook, op. cit. p. 90.

الخادم إلى حصار جزيرة ديو . وهناك وقع الخلاف بينه وبين محمود شاه ، حيث اعتقد ملك كوجرات أن سليمان طامع في مملكته ولم يأت للمشاركة في قتال البرتغاليين . ورفض التعاون مع سليمان باشا وامتنع عن إمداده بالمؤن ، لذلك بادر القائد العثماني الى رفع الحصار والعودة إلى اليمن ثم السويس .(١)

وهكذا أدت الشكوك المتبادلة بين بعض الحكام المسلمين وسوء تصرفاتهم في الأوقات الحرجة إلى نتائج وخيمة أهمها ضياع جزيرة ديو منهم ، وبالتالي زيادة السيطرة البرتغالية على الساحل الهندى .

وعلى الرغم من الصعوبات التى لقيها العثمانيون في تجهيز أساطيلهم للتصدي للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، نظرا لبعد هذه المناطق عن مراكز الاساطيل العثمانية الكبرى في البحر المتوسط .

---

(١) النهروالي ، البرق اليماني ، ص ٨٢-٨٤ ؛ اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٥٤٨ ؛
Inalcik, op. cit. p.p. 126-127, Shaw, op. cit. Vol. 1. p. 100.

وعلى الرغم من فشل العثمانيين في تحطيم السيطرة البرتغالية على المحيط الهندي ، الا أنهم استطاعوا بدون شك عرقلة النشاط التجاري للبرتغاليين ، وأدى ذلك إلى فشل محاولات البرتغاليين السيطرة الكاملة على تجارة السلع الشرقية المارة عبر موانىء مصر والشام .

وقد رأينا أن الغزو البرتغالي للخليج العربي قد حوله الى مخزن للتجارة فقط ، ودمرت معظم موانئه وأهمها هرمز التي أصبحت قاعدة للعمليات الحربية . وكان لهذا كله أبلغ الأثر على كميات السلع الشرقية المنقولة إلى الشام عبر الخليج العربي .

وتجدر الاشارة الى أن التجارة المارة عبر الخليج العربي أخذت في الانبعاث من جديد في حوالى منتصف القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، نظرا لرد الفعل الاسلامي المضاد سواء من أبناء الخليج أو من العثمانيين .

ففي عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م أصبحت حلب القريبة من شاطىء البحر المتوسط مركزا تجاريا مزدهرا بما وصل اليها من تجارة الهند عن طريق العراق وايران . وجاءتها كميات هائلة من التوابل والحرير.(١)

---

(١) Cook, op. cit. p.p. 100- 123 .

كما أن البصـــرة أصبحت المصدر الرئيسي للبضائع الهندية المارة بالعراق وعاد التجار الأوربيون يتعاملون مع مراكز التجارة في سواحل الشـــام ومصـــر ، ففي السنوات مابين ٩٦٨-٩٧٢هـ/ ١٥٦٠-١٥٦٤م اشـــترى البنادقـــة سنويا من ميناء الاسكندريـة اثنى عشر ألف قنطار (١٢,٠٠٠) من التوابل ، وهي كميات تعادل ما كان يشتريـه البنادقـة قبل اكتشـــاف البرتغاليـين طريق رأس الرجاء الصالح .(١)

الا أن هذا الانبعاث للتجارة المارة في الخليج والبحر الأحمـر لـم يدم طويلا ، ففي نهايـة القـرن العاشر الهجرى ، بدأت قـــوى بحريـة أعظم من القـوة البرتغاليـة تدخل إلى هذين المعبرين ، وتفرض سيطرتهـــا على أهم المراكز بهما ،ومن هذه القوى الشركات التجاريـــة الهولنديـة والانكليزيـة .(٢)

٥٥٥

---

(١) Inalcik, op. cit. p. 127.

(٢) Cook, op. cit. p.p. 122-123.

(٢) تحالف البرتغاليين مع الأحباش ضد القوى الاسلامية

ويعتبر تحالف البرتغاليين مع الأحباش أثرا من آثار النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى . وتجدر الإشارة هنا إلى القوى الاسلامية في شرق أفريقيا قبيل قدوم البرتغاليين .

تشبعت الحبشة بالأفكار الصليبية في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادى ، لذلك جعلت من جيرانها مسلمي الطراز اعداءها الألداء . وواجه المسلمون في شرق افريقية كثيرا من اضطهادات ملوك الحبشة بإثارة روح الجهاد في سبيل الله ضدهم. واستطاع المسلمون بفضل هذه الروح القوية الصمود قرونا طويلة أمام جبروت الاحباش الصليبيين ، بل انتصروا عليهم في فترات كثيرة .

ولو تتبعنا حالة مسلمي الطراز في القرن التاسع الهجري لوجدناها تتأرجح بين القوة والضعف ، حسب حالة الوحدة القائمة بين الدويلات الاسلامية ، أو قيام امارة متزعمة تقود حركة الجهاد ، هذا فضلا عن الوضع الجغرافي الصعب الذى يسود مناطق المسلمين ،

فهم يقيمون في مساحات شاسعة رديئة المواصلات تتخللها القبائل البدوية ، مما صعّب عطية جمع الجيش وتعبئته .(١)

وفي بداية القرن التاسع الهجرى قام امبراطور الحبشة اسحاق الأول (١٤١٤م - ١٤٢٩م) بهجوم شامل على مناطق المسلمين وأوقع بهم هزائم كثيرة ، وعمل على اضطهادهم حتى وصلت أخباره إلى السلطان المملوكي برسباى في مصر ، فغضب لما حلّ بالمسلمين هناك وحبس بطريرك القبط في مصر وهدده بالقتل لو حاول الاتصال بملك الحبشة إلا باذن من السلطان ،كما أمر باغلاق كنيسة القيامة انتقاما لما حل بالمسلمين على أيدى الأحباش .(٢)

واستمر خلفاء اسحاق على هذا المنوال فنرى زرء يعقوب (١٤٣٤-١٤٦٨م) ينكل بالمسلمين كما فعل اسلافه ويشن عليهم حربا دامية ،

---

(١) عبد الله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، مجلة كلية الشريعة ، العدد ٣ ، السنة ١٣٩٨/٩٧هـ ، ص ١٦.

(٢) المقريزى ، السلوك ، قسم ١ ،ج ٤ ،ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ؛ عبد المجيد عابدين ،نفس المرجع ،ص ١٧٩ - ١٨٢.

فهاجم سلطنتي اوفات وعدل وأصبحت الممالك الاسلامية تدفع الجزية لامبراطور الحبشة .[(١)] الا أن هذا الأمر لم يستمر طويلا ،فبعد موت زرء يعقوب أخذ المسلمون في تجميع قواهم مرة أخرى وشن حرب جديدة ضد الحبشة . وأخذت عدل دور القيادة في القوة الجديدة ، فقد ظهر فيها قائد قوى هو الإمام محفوظ الذى كان يهدف إلى استعادة المدن على الحدود الشرقية للحبشة ،وهي ايفات ، وفيتجارو ، ودوارو وبالي . وقد هاجمها محفوظ وانزل هزائم كبيرة متتالية بالأحباش في عهد ملكي الحبشة اسكندر (١٤٧٨ - ١٤٩٤) وناعود (١٤٩٤- ١٥٠٨) وقتل ناعود وهو يدافع عن مقاطعة ايفات في مواجهة الامام محفوظ .[(٢)]

وفي أواخر القرن التاسع الهجري جاء البرتغاليون الى شرق أفريقية بعد عبورهم رأس الرجاء الصالح ، وهي فترة حرجة جدا واجه

---

(١) السخاوي ،ذيل السلوك ،ص ٧١ - ٧٢ ؛ عبدالله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ،ص ١٧ ؛ عبدالمجيد عابدين ، نفس المرجع ،ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) Tamrat, op. cit. p.p. 166-167.

الأحباش انبعاث القوة الاسلامية .

ورغم قيام بعثات كشفية برتغالية الى بلاد الحبشة قبل دخول البرتغاليين إلى الشرق ، إلا أنه بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح في القرن العاشر الهجرى بدأ البرتغاليون اتصالاتهم الفعلية مع مملكة برسترجون المسيحية .

وعندما وصل فاسكودى جاما إلى الساحل الشرقي لإفريقية في رحلتيه بدأ في البحث عن هذه المملكة ، فلم يجد إلا الممالك الإسلامية على الساحل لذلك عامل هذه المدن بكل قسوة ووحشية . وعندما تركها بعث رجاله لاكتشاف بلاد برسترجون .(١)

وفي سنة ٩٠٩ هـ/ ١٥٠٣ م أجبر البرتغاليون سكان جزر زنجبار وبمبا ومافيا على دفع الجزية ، وفي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥ م استولى الميدا أول نائب ملك في الهند على سفاله ، وكلوه وممباسا .

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. 1. p. 56.

وفي سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م دمّر تريستان دى كونهـــا Tristan de Cunha والبوكيرك الموانيء الشمالية وهـــى لامو واجا وبراوا ، وأجبروا سكانها على الخضوع للبرتغاليين(١) . وهنـــا اقترب البرتغاليون من الحبشـة التي كانت تواجه الزحف الاسلامـــي عليهـا .

وكما ذكرنا سابقاً فإن الأمير محفوظ كان يهدد الحدود الشرقيـة للحبشـة ، وقد قتل الملك ناعود في إحدى هذه الحروب .

وفي سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م تولى عرش الحبشـة الملك الطفل لبنـا دنجـل Lebna Dengel ، وكانت الوصيـة عليه أمة الملكـة هيلين Eleni التي سعت في قيام تحالف صليبي بين الحبشـة والبرتغاليـين . وارسلت هيلين رسولا لها يدعى ماثيو Mathieu الى البوكـيرك نائب الملك في الهند عرض عليـه رغبة الملكة في القيـام بعمل مشترك مع البرتغاليـين للاستيلاء على الحجاز ومصر ، وطلب منـه تزويدها بأسطول قوي يعمل ضد القوى الإسلامية فى البحر الأحمـر(٢) .

---

(١) Serjeant, op. cit. p. 14

(٢) أحمد دراج ، المماليك والفرنج ،ص ١٣٨ - ١٣٩ ؛ محمد البحراوى نفس المرجع ص ٦٤ - ٦٥ .

ثم سافر المبعوث الحبشي ماثيو إلى البرتغال ، وهناك وجد التأييد التام لمطالب الملكة من قبل ملك البرتغال مانويل (١٤٩٥ - ١٥٢١م) فقد وجد البرتغاليون في هذا الحلف مساعدا لمخططاتهم في البحر الأحمر خاصة الإستيلاء عليه من أيدى العثمانيين أو فرض سيطرتهم على مدخله وتحطيم تجارته .

وأرسل الملك مانويل بعثته التي تحمل الجواب إلى الملكة ولكنها لم تصل إلا في سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠ م . وفي تلك الأثناء أصبح لبنا دنجل امبراطوراً على الحبشة خلفا لوالدته هيلين . ونظراً لانتصاره على الأمير محفوظ فقد تنصل من مسئولية البعثة الحبشية ، وعادت البعثة البرتغالية دون ابرام معاهدة تحالف بين البرتغال والأحباش .(١)

وفي عهد الامبراطور لبنادنجل ظهر الإمام أحمد بن ابراهيم القرين الذى اتسع سلطانه على حساب مملكة الحبشة .

---

(١) عبد الله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ١٩ ؛
Tamrat, op. cit. p. 181.

وتعتبر دولة الإمام أحمد بن ابراهيم القرين مظهراً من مظاهر إنبعاث القوة الإسلامية في شرق أفريقية في القرن العاشر الهجري خاصة أن الإمام أحمد القرين لعب دوراً هاماً في التحالف الإسلامي مع العثمانيين.

ففي سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م قتل الإمام محفوظ وقامت المنازعات على السلطة في مملكة عدل. واستغل الأحباش الفرصة وشنوا هجمات متعددة على الدويلات الإسلامية وعطوا على تدميرها ونهبها وأسروا أعدادا كبيرة من المسلمين. وقد تصدت لهم قوات من جيش عدل بقيادة أحمد ابن ابراهيم الذى استطاع بشجاعته وجهاده أن يخلف الملك أبو بكر ابن محمد الحاكم الفعلي في المملكة. وعمل أحمد بن ابراهيم على تكوين جيش قوى ضخم من القبائل الصومالية. وما أن جاءت سنة ٩٣٦هـ/١٥٢٩م حتى كوّن الإمام أحمد دولة قوية ذات نفوذ وعلى استعداد لخوض غمار حرب طويلة مع الأحباش.(١)

واستولى الامام أحمد على مناطق فيتجارو، ودبارو وايفات، وبالي وشوا، حتى وصل إلى نهر أواش Awash، ثم أمهرا ولاستا. وأصبح الامبراطور لبنادنجل طريداً فاراً أمامه من موقع

---

(١) Tamrat, op. cit. p.p. 169-171.

إلى آخـــر . ووصل الإمام بذلك إلى قلب أراضي الامبراطوريــــة الحبشيـة المسيحية ، وامتدت مملكته من البحـر الاحمر شرقا حتى كسلا غربـا .(١)

وأرسل الملك لبنادنجل سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥م طالبا النجـدة من البرتغاليـين . ولبى البرتغاليون الطلب فبعث ستيفن دى جامـا Stephen de Gama نائب الملك في الهند - الذى كان يقـود حملـة إلى البحر الأحمر - أخيه كريستوفـر Christopher لنجدة الامبراطور . وفعلا وصل القائد البرتغالي مع أربعمائة رجـل سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م الى الحبشـة .(٢)

وصلت إلى الحبشـة النجدة البرتغاليـة التي طلبها الامبراطور ، الحبشي للإنضمام إليـه في مقاومـة الإمام أحمد الذى كان في ذلـك

---

(١) Tamrat, op. cit. p.p. 173-174, Serjeant, op. cit. p. 19;

عبدالله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ١٨-١٩ .

(٢) Sousa, op. cit. Vol. 2. p.p. 54- 55; Tamrat, op. cit. p. 181;

عبدالله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ١٩ .

الوقت في مقاطعة التيجرى الشمالية . وحقق البرتغاليون مع الأحباش إنتصارات أولية على الإمام حتى أجبروه على الهرب إلى جبال زابول .(١)

ومن هناك أرسل الإمام أحمد بن ابراهيم يطلب المساعدة من العثمانيين الذين كانوا قبل ذلك قد استولوا على سواكن وزيلع . وقبل العثمانيون التحالف مع الإمام أحمد بن ابراهيم القرين ومد يد العون له ضد البرتغاليين وحلفاءهم الأحباش . فعندما تلقى الباشا العثماني مصطفى النشار (٩٤٧ هـ - ٩٥٢ هـ) في زبيد طلب المساعدة أرسل إلى الإمام ألف جندى عثماني مزودين بالبنادق وعشرة مدافع .(٢)

وفي معركة أوفلا Wofla إنتصر المسلمون إنتصاراً باهراً على التحالف الصليبي . وقبض الإمام على القائد البرتغالي كريستوفر دى جاما Christopher de Gama وقتله وشتت قوات

---

(١) Serjeant, op. cit. p. 19.

(٢) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٣٩ ؛ Sousa, op. cit. Vol. 2. p. 599; Serjeant, op. cit. p. 19; عبد الله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ٢٠ .

الامبراطور الحبشى .[1]

ونظرا لعدم ثقة الإمام في العثمانيين فقد أعاد بعد هذا النصر معظم القوة العثمانية إلى زبيد واحتفظ بمائتي جندى فقط وعسكر معهم قرب بحيرة تانا[2] ، مما أعطى الفرصة للبرتغاليين والاحباش لإعادة تنظيم قواتهم وحشدها لخوض معركة كبيرة ضد الإمام .

وفي سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م وقعت المعركة الحاسمة بين الطرفين قرب بحيرة تانا في موقع يسمى ويناديجا Woina Dega هزم فيها الامام أحمد وقتل وتفرق جيشه .[3]

وبموت الإمام أحمد لم تنقطع المقاومة الإسلامية في شرق أفريقيا ولم ينته تحالف العثمانيين مع القوى الإسلامية للتصدى للنفوذ البرتغالي

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. 2. p.p. 60-61, Serjeant, op. cit. p. 19.

(٢) Tamrat, op. cit. p.p. 181- 182.

(٣) Tamrat, op. cit. p. 182, Serjeant, op. cit. p.p. 19-20.

المتسلل إلى البحر الأحمر سواء عن طريق مهاجمة عدن أو عن طريق التحالف مع الأحباش .

ففي سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٥١م قام الإمام نور الدين بن الوزير مجاهد في هرر بمقاومة الأحباش ، بعد أن أعاد تنظيم القوات الإسلامية فيها [١] . كما قام العثمانيون في سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧ ميلادية بالإستيلاء على مصوع ، وحرقيقو Harkiko لقطع طريق الإمداد العسكرى بين البرتغاليين والأحباش .

ومن مصوع أغار ازدمر باشا القائد العثماني على دباروا Dabarwa واستولى عليها وبنى بها حصنا للحامية العثمانية . وأصبحت دباروا مركزا لشن الحملات ضد الحبشة . وكانت سواكن ومصوع بمثابة مراكز الإمداد والتراجع عند الهزيمة . وفي تلك الاثناء نشبت معركة بين نور الدين مجاهد وامبراطور الحبشة جلاديوس Galadewos (١٥٤٠ - ١٥٥٩م) ، هزم فيها الامبراطور الحبشي وقتل في سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩ م [٢] .

---

(١) عبد الله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ٢٠ .

(٢) النهوالي ، البرق اليماني ، ص ١١٩-١٢٠ ؛ عبد الله الحبيد ، سفارة الإمام المتوكل ، ص ٢٠ ؛ السيد رجب حراز ، ارتوريا الحديثة ، ص ٢٩ ٣٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الحبشة .

وفي عهد الملك سرصا دنجل Sarsa Dengel (١٥٦٣م -١٥٩٧م) طرأ تغيير في التحالف بين العثمانيين ومسلمي شرق افريقية، ذلك أن المسلمين هناك قد أصابهم الضعف بعد موت نور الدين مجاهد سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧ م ، وقلت خطورتهم على الأحباش مما أتاح الفرصة لازدياد قوة التحالف الصليبي بين الأحباش والبرتغاليين لذلك استغل العثمانيون قيام فتنة بقيادة البحر نجش اسحاق ضد الامبراطور الحبشي وتحالفوا معه ضد الامبراطور سرصا دنجل .واستطاع امبراطور الحبشة بمساعدة البرتغاليين ان يوقع بالعثمانيين وحليفهم اسحاق ، هزيمة كبرى فى معركة عدى كورو Addi Qorro باقليم تيجراى Tigrai سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨ م ، وقتل فيها اسحاق والباشا التركي .(١)

وفي سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩ م اشتعلت الحرب مرة أخرى ضد الإمبراطور الحبشي بقيادة ولدا عزوم Walda Ezum الذى تحالف مع العثمانيين في مصوع . واحتل الأتراك دباروا مرة

---

(١) السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ،ص ٣١ ؛ عبدالمجيد عابدين ،نفس المرجع ،ص ١٩٥.

أخرى ، وسار الإمبراطور سرصا دنجل بقواته والتقى بالمتحالفين قرب نهر موب وأوقع بهم الهزيمة .[1] وانسحب باشا مصوع التركي كداورت الى حرقيقو ، ولم يستطع الامبراطور القضاء عليه هناك فعقد معه صلحاً . وظل العثمانيون في شرق إفريقية رغم محاولات الأحباش المتعددة لإقصائهم بعيداً .[2]

يضاف إلى ذلك مغامرات العثمانيين البحرية المتقطعة على سواحل شرق أفريقية ومنازلتهم للأساطيل البرتغالية في البحر .ومنذ سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤ م قام الاميرال العثماني ميرعلي بيك من اليمن بمهاجمة السفن البرتغالية عند ساحل سفاله ، وقام بتحريض ملك مومباسا وكثير من حكام مدن الساحل ضد البرتغاليين ، مما أقلق نائب الملك في الهند دوارت مينزيس Duart de Meneses ، فقرر ارسال قائده دى ميلو بومبيرو De melo Pombeyro الذى احتل مومباسا وأوقع الهزيمة بميرعلي بيك سنة ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م.[3]

---

(١) السيد رجب حراز ،ارتريا الحديثة ،ص ٣١ - ٣٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الحبشة .

(٢) السيد رجب حراز ، ارتريا الحديثة ،ص ٣١ - ٣٢ .

(٣) Sousa, op. cit. Vol. 3. p.p. 38-40; Chttiek, op. cit. p. 229-230.

وهكذا نرى أن التحالف بين البرتغاليين والأحباش كان نتيجة من نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي . وأراد البرتغاليون من وراء هذا التحالف ، حماية ذلك النفوذ والسيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها إلى موانئ مصر والشام .

٥٥

(٣) بداية التنافس بين القوى الأوربية للسيطرة على تجارة الخليج العربي

ولا شك أن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى كان من أهم نتائجه لفت أنظار القوى الأوربية الأخرى إلى تجارة الخليج العربي . فلم يكن من المعقول أن تقف القوى الأوربية المعاصرة مكتوفة الأيدى أمام غزو البرتغاليين لمراكز التجارة في الخليج العربي ثم انفرادها بكامل ثروات الشرق التجارية ، لهذا أخذت القوى الأوربية الأخرى في منافسة البرتغاليين والدخول معهم في سباق لانتزاع ذلك النفوذ من أيديهم .

وكانت هذه القوى الأوربية الجديدة ذات أهداف تجارية إستعمارية أنشبت أظفارها في الشرق الإسلامي لعدة قرون . وكانت القوة الحربية المصاحبة للسيطرة التجارية هي وسيلتها الأولى في فرض سيطرتها على تلك المناطق وقهر شعوبها .

ففي سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٠م استولى فيليب الثاني ملك أسبانيا على البرتغال بعد وفاة ملكها هنرى ، وبعد أن استقلت هولندا عن السيطرة الإسبانية . ومنع الأسبان البرتغاليين من المتاجرة مع هولندا مما دعا الهولنديين إلى التفكير في حرمان الأسبان من مصدر ثرواتهم

- بعد أن أصبحت البرتغال تابعة للتاج الاسباني - عن طريق مزاحمتهم في التجارة الشرقية [1] ، والحصول على التوابل من مصادرها الأصلية والقضاء على الإحتكار البرتغالي . [2] وبهذا أخذ نجم الهولنديين يلمع في الشرق وتأسست شركة الهند الشرقية الهولندية

The Duth East India Company

تحت اشراف الحكومة الهولندية في امستردام سنة ١٠٠٢-١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م- ١٥٩٥م . [3]

وفي السنوات التالية (١٥٩٦م- ١٦٠٤م) أخذت السفن الهولندية تترى عبر طريق رأس الرجاء الصالح إلى المحيط الهندى ، وأخذت في فرض نفوذها على حساب النفوذ البرتغالي خاصة في الشرق الأقصى وجزر الهند . واستعانت شركة الهند الشرقية الهولندية في ذلك بعقد الإتفاقيات مع الحكومات المحلية لطرد البرتغاليين من سواحلهم . [4]

---

(١) فاروق اباظة ، عدن والسياسة البريطانية ،ص ٥٩ ؛ لوريمر ، نفس المرجع ،ص ٢٢- ٢٣ .

(٢) Encyclopaedia Britannica, Articl Portugal

(٣) فاروق أباظة ، نفس المرجع ، ص ٥٩ .

(٤) قدرى قلعجي ، نفس المرجع ،ص ٣٨٤ .

وكان الخليج العربي يمثل بالنسبة للشركة الهولندية مركزا تجاريا هاما في خط مواصلاتها الطويل ، لذلك عملت الشركة جاهدة في محاربة البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي لتعطيل سير تجارتهم ، والحصول على مركز تجاري في الخليج العربي ينافس هرمز الذى كان تحت سيطرة البرتغاليين آنذاك ، لذلك ساعدوا الشركة الانكليزية بإمدادها وحلفائها الفرس بالمعونة الحربية حتى استطاعوا بعد ذلك توطيد نفوذهم في ميناء بندرعباس وجزيرة قشم .

ولكن المصالح التجارية الهولندية والإنكليزية في الخليج العربي لم تلبث ان تعارضت ، فدخل الهولنديون والإنكليز والبرتغاليون في حروب ومنازعات من أجل السيطرة على الخليج العربي وذلك في بداية القرن الحادى عشر الهجري / السابع عشر الميلادي .(١)

أما عن شركة الهند الشرقية الانكليزية التي تأسست في سنة ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م فقد كانت للإنكليز اتصالات مبكرة في القرن العاشر الهجري في منطقة الخليج العربي . تمثلت هذه الاتصالات في

---

(١) صلاح العقاد ، التيارات السياسية ،ص٣٠ ؛
Milles, op. cit. 186.

رحلات عديدة قام بها مغامرون ومبعوثون انكليز للحصول على معلومات دقيقة عن أحوال التجارة البرتغالية في الخليج العربي ، وأملا في عقد صداقات مع شاه فارس لتسهيل قيامهم بالتجارة هناك. وقد تمخضت هذه الرحلات الكشفية عن فوائد جمة للتجارة الانكليزية ، حيث هيأت وجود حليف لهم هو الشاه عباس (٩٩٦هـ ١٠٣٨هـ/ ١٥٨٧م - ١٦٢٩م) الذى منحهم تسهيلات كبيرة فيما بعد .

وقامت أولى هذه الرحلات عام ٩٨٨هـ - ٩٨٩ هـ حيث بعثت الملكة اليزابيث الأولى ملكة بريطانيا مبعوثها جون نيوبرى الذى وصل الى هرمز بعد أن مرّ بحلب ثم البصرة ، وجمع معلومات مكثفة عن التجارة هناك . (1) وفي سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣ م عاد المبعوث نفسه في رحلة أخرى مع ثلاثة آخرين هم رالف فيتش ، ووليام ديدز ، وجيمس ستورى ، وقد جاءوا عن طريق العراق ، ثم البصرة ، وهرمز . وهناك القى البرتغاليون القبض عليهم وأرسلوا إلى غوا وسجنوا هناك. ومن غوا أرسل المبعوثون الإنكليز التقارير إلى إنكلترا يصفون فيها

---

(١) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٩ - ٢٢ ؛ قدري قلعجي ، نفس المرجع ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

ثـروات الشرق ورفاهيته وأرباح التجار الخيالية هناك .(١)

وبعد أن اعتلى عرش فارس الشاه عباس الأول الصفوى وصل الـــى بلاطــه مبعوثان انكليزيان هما الأخوان انطوني وروبرت شيرلي ، اللذان احتلا مكانا مرموقا لدى الشاه عباس وقدما اليه اقتراحات بشأن السمـاح للانكلــيز بالتجارة مع فارس وإعفائهم من الضرائب في موانىء فارس علـــى الخليج العربي .(٢)

وهكذا مهد الانكليز لقيام شركتهم بإيجاد حلفاء لهم من الفــرس في أهم منطقـة على طريق الهند وجاء تأسيس الشركة فى وقت ازدهـــرت فيه التجارة الانكليزيـة بعد أن حققت انكلـترا انتصارها الباهر علـــى الاسطول الأسباني الأرمادا سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٨م فاندفعوا إلـــى الشرق عبر رأس الرجاء الصالح لإيجاد مناطق جديدة تناسب التوسـع التجارى القائم لديهم ، بعد أن عرفوا مقدار النفع الهائل الذى عـاد

---

(١) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٩ ، ٢٢ ؛ قدرى قلعجي ، نفس المرجع ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(٢) صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢٨ ؛ قدري قلعجي ؛ نفس المرجع ص ٣٧٩ .

على البرتغاليين نتيجة اتجاههم صوب الشرق .[1]

وفي ٢١ ديسمبر ١٦٠٠ م وقعت الملكة اليزابيث الأولى المرسوم الخاص بتأسيس شركة الهند الشرقية تحت اسم " شركة حكام وتجار لندن للعمليات التجارية في الهند والاقطار المجاورة ".[2]

"The Governor and Company of Merchants of London Trading into the East Indies".

وأعطى هذا المرسوم للشركة الحق في احتكار التجارة الشرقية لمدة خمسة عشر عاما ، وقد تم تمديد هذه المدة بعد ذلك .[3]

---

(١) مصطفى النجار ، شركة الهند الشرقية الانكليزية ، مجلة دراسات الخليج ، عدد ١٦ ، سنة ١٩٧٨م ، ص ١٠٢ ؛ لوريمر ، نفس المرجع ص ٢٢- ٢٣ .

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ٢٢-٢٣ ؛ مصطفى النجار ، شركة الهند الشرقية ، ص ١٠٢ ؛ فاروق اباظة ، نفس المرجع ، ص ٦٤ .

(٣) مصطفى النجار ، شركة الهند الشرقية ، ص ١٠٢ .

وأسس الانكليز أول مركز لهم في كوجرات على الساحل الغربي للهند ، ثم أخذت في تأسيس مراكز لها على طول الطريق المار بالبلاد العربية في البحر الأحمر والخليج العربي ، عن طريق عقد معاهدات تجارية مع دول المنطقة . وأخفت هذه المعاهدات في طياتها مطامع الاستعمار الاوربي .

ومن أهم الدول التي عملت شركة الهند الشرقية على الاتفاق معها هي فارس . فقد حصلت الشركة عام ١٠٢٤هـ/١٦١٥م على فرمان شاهنشاهي ينص على منح الإنكليز حق التجارة مع فارس ،وتأسيس مراكز تجارية لهم في شيراز وأصفهان وجاسك ، وإعفائهم من الضرائب فيها [1] . وقد وافق هذا الإتفاق اطماع الانكليز في محاربة النفوذ البرتغالي في الخليج العربى وإضعاف منافسة الهولنديين فيه ، مما أدى أخيرا الى سيادة النفوذ الانكليزى في الخليج العربي والسيطرة عليه ونهب ثرواته الضخمة .

أما عن أسباب تدهور القوة البرتغالية في الخليج العربي في

---

(١) مصطفى النجار ، شركة الهند الشرقية ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

نهاية القرن العاشر الهجرى ، فنستطيع أن نجمل أهمها في عدة نقاط :

(١) انتقال البرتغال سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٠م إلى السيادة الأسبانية مما أدى إلى تدهور القوة البرتغالية في الشرق ، بسبب تحكم الأسبان في السياسة الخارجية للبرتغال ، ونفور البرتغاليين من الحكم الاسباني الذى أولى اهتمامه للحروب الاسبانية ، وفرض الضرائب الباهظة لتمويل هذه الحروب ، على حساب حكومة البرتغال في الشرق وعلى حساب السيطرة البرتغالية في الهند والخليج العربي .(١)

(٢) تصدى الدولة العثمانية للسيطرة البرتغالية في الخليج العربي والبحر الأحمر ، طوال القرن العاشر وتمكنهم من السيطرة على عدن والاحتفاظ بالبحر الأحمر بحيرة إسلامية ، وإحباطهم لكل المحاولات البرتغالية لتكوين جبهة مسيحية مع الاحباش.(٢)

---

(١) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ٢٢ ؛
Macgregor, op. cit. p. 614; Milles, op. cit. p. 181; Encyclopaedid Britannica, Articl Portugal.

(٢) السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ٣٢٥ .

وأدت هذه السياسة الى إرهاق القوة البرتغالية باستمرار حيث كان عليها أن تواجه العثمانيين في عدة ميادين ووسط شعور عام بالسخط عليهم من قبل الأهالي المسلمين الذين وقفوا في معظم الاحيان بجانب العثمانيين باعتبارهم حماة الإسلام .

(٣) السياسة التجارية السيئة التى اتبعها البرتغاليون ، وهي استغلالهم لخيرات الشعوب الخاضعة لهم بشكل بشع ، وحرمان هذه الشعوب حق المتاجرة باتباع وسائل النهب والقرصنة ، وسياسة الاستغلال عن طريق تكديس البهارات والمتاجر الأخرى وحملها إلى البرتغال .

يضاف إلى ذلك عدم كفاءة الإدارة البرتغالية حيث يعين نائب الملك في الهند لمدة ثلاث سنوات - وهي مدة قصيرة جدا - فكان هدفه وهدف موظفيه هو جمع الثروة في أقصر مدة ممكنة وذلك على حساب الأهالي الضعفاء .(١)

---

(١) Chttick, op. cit. p. 231;
السيد رجب حراز ، عصر النهضة ، ص ٣٢٦ .

(٤) حركة المقاومة الإسلامية العنيفة في الخليج العربي ضد البرتغاليين ، حيث تتابعت الانتفاضات ضدهم . وعمل أبناء الخليج العربي على التخلص منهم بالعديد من الوسائل والمحاولات ، كما مدوا يد العون للدولة العثمانية حينما تدخلت في الخليج العربي لمواجهة النفوذ البرتغالي ، مما ساعد على تفتيت واضعاف القوة البرتغالية القابعة في الخليج العربي .

(٥) سيطرة البرتغال وهي الدولة الصغيرة النائية على خط المواصلات الطويل إلى الشرق . وللمحافظة على هذا الخط كان على البرتغال أن تواصل إرسال الأساطيل والحاميات إلى الشرق ، مما شكل عبئا ثقيلا على ثروتها واقتصادها ، كما أجبرها على استخدام العبيد والمرتزقة في الشرق ليشكلوا جزءا كبيرا من حامياتها في المراكز التجارية ، وأدى عدم إخلاص هؤلاء العبيد والمرتزقة في كثير من الأحيان إلى خسارة البرتغاليين .(١)

(٦) ظهور المنافسة الأوربية خاصة الهولندية والانكليزية(٢) على

---

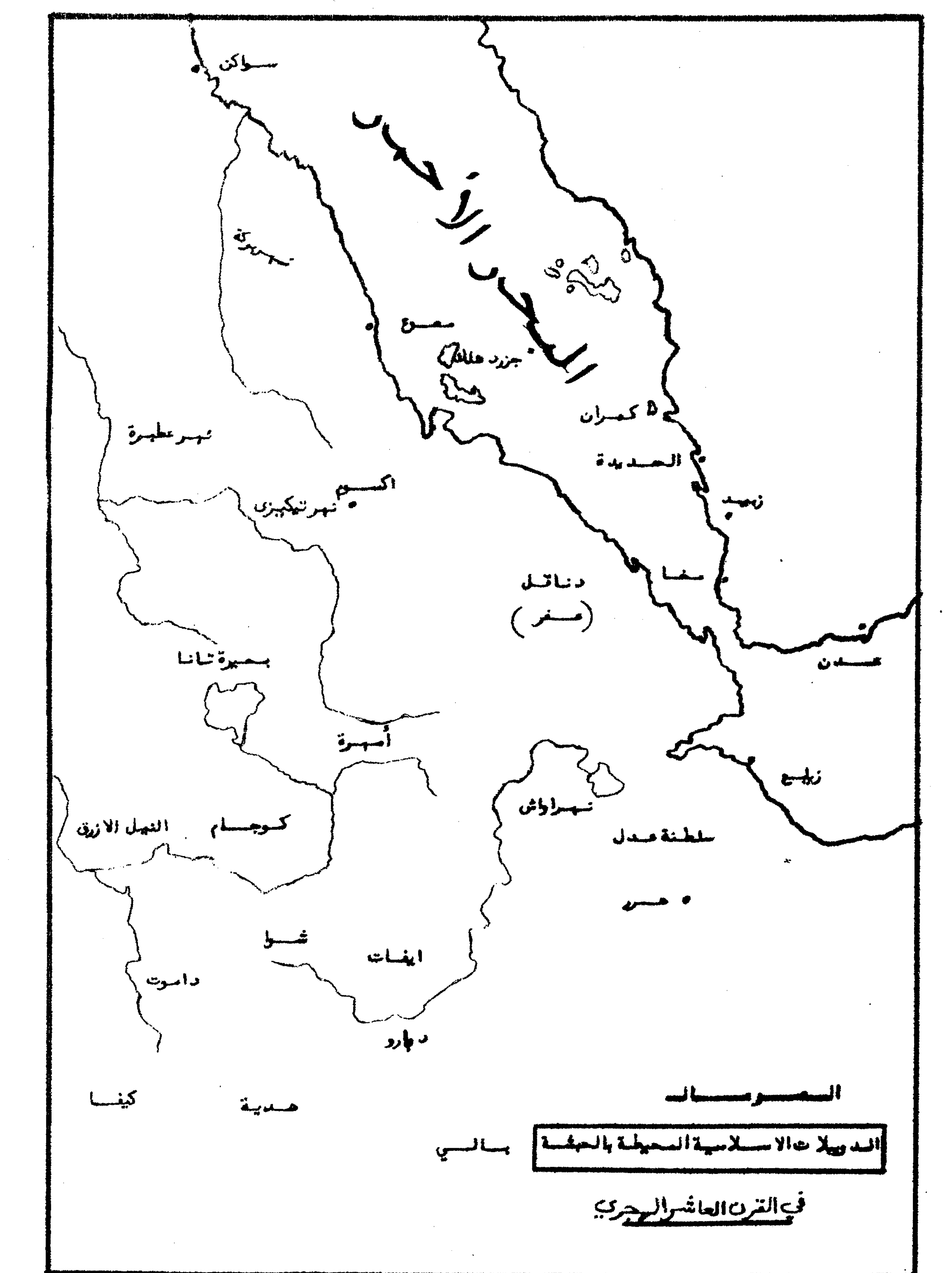
(١) Chttick, op. cit. p. 231, Macgregor, op. cit. p. 613;
صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) Milles, op. cit. p.p. 184-185;
صلاح العقاد ،نفس المرجع ،ص ٢١-٢٢ .

سيادة الطرق التجارية إلى الشرق . وقد جاءت هاتان القوتان إلى الشرق أكثر تسليحا وأعظم قوة ، مما أتاح للهولنديين والانكليز فرصة التفوق على البرتغاليين .

وأخيرا فإن هذه هي أهم نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى ، هذه النتائج التى امتدت آثارها على منطقة البحر الأحمر وعلى جنوب شبه الجزيرة العربية ،وعلى القوى الإسلامية في شرق أفريقية .

--•--


سواكن
البحر الأحمر
نهر بركة
مصوع
جزر دهلك
كمران
الحديدة
زبيد
مخا
عدن
نهر عطبرة
اكسوم
نهر تيكيزي
دناكل
(عفر)
بحيرة تانا
أمهرة
زيلع
نهر اواش
سلطنة عدل
هرر
كوجام
النيل الازرق
شوا
ايفات
داموت
دوارو
كيفا
هدية
بالي
الصومال
الدويلات الاسلامية المحيطة بالحبشة
في القرن العاشر الهجري

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها البحث

أهم النتائج التي توصل اليها البحث

٥٥٥

رأينا في الفصول السابقة أن البحث ألقى أضواءا جديدة على منطقة الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى . فقد أوضحت الدراسة أن هناك عوامل كثيرة جعلت هذا المعبر المائي أكبر وأعظم منطقة لعبور تجارة الشرق أواخر العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة . وساعد على ازدهاره وثرائه عوامل أهمها الموقع الفريد للخليج العربي على طريق التجارة بين الشرق والغرب ، وصلاحية موانئه المتعددة للملاحة ، ورعاية الدول الإسلامية الكبرى من حوله للتجارة المارة فيه .

واستمر هذا الإزدهار حتى قدوم البرتغاليين الى المحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجرى .

ولم تنقطع المتاجر الشرقية عن الخليج العربي عبر الطريق البرى الموصل إلى سواحل الشام حتى خلال فترات الإضطراب والفوضى التي أعقبت سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، مما يجعلنا نلمس الفرق بين النشاط التجارى وحالة الأمن في منطقة الخليج العربي قبل قدوم البرتغاليين إلى البحار الشرقية وبعد قدومهم . فقد حوّل البرتغاليون

الطرق التجارية الى أوكار للقرصنة البرتغالية للقضاء على النشاط التجارى الإسلامي في الخليج .

وشرح البحث كيف أن الصراعات والتفكك السياسي الذى ساد الإمارات العربية وفارس والعراق في القرن التاسع الهجرى، قد مهد لتغلغل النفوذ البرتغالي في الخليج العربي مع بداية القرن العاشر الهجرى . وأبلغ دليل على ذلك هو عدم وجود قوة اسلامية كبرى مجاورة للخليج تسرع للدفاع عنه عند الغزو البرتغالي المفاجىء .

وبرهن البحث على أن العوامل الدينية الصليبية كانت من أهم عوامل قيام حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية . فقد سعى البرتغاليون لإيجاد منطقة جديدة لضرب المسلمين خاصة عندما اشتعل الحقد الصليبي ضد الإسلام والمسلمين بعد فتح العثمانيين للقسطنطينية وتوسعهم في أوربا الشرقية ، خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

ومن النتائج الهامة التي توصل اليها البحث أنه كان للبحارة العرب المسلمين الفضل الأول في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في القرن العاشر الهجرى . وأبلغ دليل على ذلك أن مؤلفات أحمد بن ماجد وسليمان المهرى ، وهما من أشهر البحارة والعلماء العرب المسلمين في علوم البحار ، أمدت البرتغاليين وغيرهم بالمعلومات

والخبرات الهامة التي ساعدتهم على العبور إلى الهند ، واستفاد كل من البحار البرتغالي بارثلميو دياز ، الذى اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وفاسكو دى جاما الذى وصل إلى الهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، من علوم وخبرات العرب .

ويعتبر دى جاما أول برتغالي مارس تطبيق الأهداف الصليبية ضد المسلمين فى المشرق ، كما وضع ركائز عمليات القرصنة البحرية البرتغالية في المحيط الهندي .

ومن أهم النتائج التي ترتبت على كشف طريق رأس الرجاء الصالح هو تحقيق الأهداف الصليبية التي خطط لها البرتغاليون قبل قدومهم إلى الشرق . فقد استطاع البرتغاليون فعلا الإلتفاف حول العالم الإسلامي من ناحية الجنوب ، والقضاء على المصالح التجارية للمسلمين في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر . كما جعلوا من هذه المناطق الآمنة مناطق صراع شرسة ضد الإسلام والمسلمين .

ومن الأساليب التي اتبعها البرتغاليون في تحويل طريق التجارة المار عبر الخليج العربي والبحر الأحمر الى طريق رأس الرجاء الصالح هو مهاجمة هذين المعبرين . ونجح البرتغاليون بالنسبة للخليج العربي أما البحر الأحمر فقد تصدت لهم سلطنة المماليك في مصر

وأغلقت في وجوههم هذا البحر ، ثم جاء العثمانيون فأكملوا مهمة سلاطين المماليك وأبقوا البحر الأحمر بحراً إسلاميا خالصا .

واستخدم البرتغاليون وسائل الارهاب والقرصنة البحرية ضد السفن الإسلامية التجارية . وأسسوا مراكز لهم في سواحل شرق افريقية لمراقبة السفن المتجهة إلى البحر الأحمر . ولا شك أن هذه الوسائل جرّت الخراب على أعظم طريقين تجاريين لتجارة الشرق وهما الخليج العربي ، والبحر الأحمر .

واستطاعت الدراسة أن توضح حقيقة تعرض الخليج العربي في بداية القرن العاشر الهجرى لعمليات غزو وحشية صليبية من قبل البرتغاليين ، اتضحت من خلالها أبشع عمليات انتهاك حقوق الانسان من تدمير واحراق المدن الآمنة ، ونهبها ، واحراق المساجد والتمثيل بالأسرى ، والفتك بالشيوخ والاطفال والنساء ، وفرض الضرائب الباهظة على أهالي المدن بعد تدميرها . كما دمر البرتغاليون المراكز التجارية والبحرية في الخليج العربي عن طريق احراق الموانيء بما فيها من السفن الراسية وممارسة أعمال القرصنة ، بالإستيلاء على كل سفينة ومركب تجارى يمر فيه ، وفرض الرقابة على السفن بواسطة الحاميات العسكرية التي أقاموها في المراكز التجارية . وبذلك حوّل البرتغاليون هذا المعبر المائي المزدهر إلى مخزن للتجارة فقط يسوده الخراب

والقت الدراسة ضوءا هاما على دور أبناء الخليج العربي في إضعاف النفوذ البرتغالي خلال القرن العاشر الهجرى مما عجّل بتدهوره في نهاية ذلك القرن .

ورغم الإمكانيات العسكرية الضئيلة ، استطاع أبناء الخليج الصمود أمام القوة البرتغالية ، ورفضوا الخضوع لسطوة البرتغاليين ونفوذهم ، وعبروا عن ذلك بانتفاضاتهم المستمرة ضد الغزو البرتغالي ، ومقاتلة الحاميات العسكرية البرتغالية الموجودة في المراكز التجارية ، وقطع خطوط الإمدادات عن تلك الحاميات . ولجأ أبناء الخليج أيضا الى الدولة العثمانية باعتبارها القوة الإسلامية الكبرى القائمة في تلك الفترة التاريخية .

وساهمت الدولة العثمانية بنصيب كبير في التصدي للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، فقامت بإرسال الحملات المتتابعة إليه . ورغم فشل كثير من تلك الحملات العثمانية إلا أنها أثرت تأثيرا كبيرا في إضعاف النفوذ البرتغالي ، وفي تشتيت قواه وتفتيت جهوده ، بحيث عجلت في تدهور القوة البرتغالية في الخليج العربي مع نهاية القرن العاشر الهجري .

ولا شك أن النزاع الذى كان سائدا بين العثمانيين والصفويين

ساعد بشكل مباشر في اضعاف قوة المسلمين عامة ، مما حال دون القضاء على البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي قضاءً حاسماً ونهائياً . ولم يستفد من هذا النزاع إلا أعداء الإسلام المتربصون به وأولهم الصليبيون الأوربيون .

ونتيجة لتصدى الدولة العثمانية للنفوذ البرتغالي في الخليج قام البرتغاليون بمهاجمة المراكز التجارية الإسلامية في مدخل البحر الأحمر ، وحاولوا الوصول إلى الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولكن يقظة الدولة العثمانية حالت دون تحقيق ذلك الحلم الصليبي .

وأرسل العثمانيون حملات عسكرية إلى الهند للتصدي للنفوذ البرتغالي في المحيط الهندي ، ولفك الحصار عن التجارة العربية الإسلامية المارة فيه . وهذا يؤكد لنا أن الدولة العثمانية لم تتجاهل النفوذ البرتغالي في الشرق وانما بذلت مافي طاقتها للتصدي للبرتغاليين.

وسعى البرتغاليون لعقد تحالف صليبي مع الأحباش في شرق أفريقية للقضاء على حركة الجهاد الإسلامي بين مسلمي شرق افريقية ، والتصدى للدولة العثمانية ، لتحقيق أهدافهم ومشروعاتهم الصليبية. وفشل البرتغاليون في تحقيق ذلك .

ومن نتائج البحث أن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى أثار انتباه بعض القوى الأوربية الأخرى لأهمية ثروات الشرق وخيراته وأهمية موقع الخليج العربي كمعبر لتجارة الشرق . فكان هذا النفوذ البرتغالي بداية عصر استعمار صليبي جديد تمثل في الشركات التجارية الهولندية والانكليزية والفرنسية .

وتدهور النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي والخليج العربي لعدة أسباب أهمها ازدياد حركة المقاومة الاسلامية ، ووفود القوى الأوربية الأخرى الى تلك البحار ، وكانت بداية فترة جديدة في تاريخ الخليج العربي .

والله الموفق .!

-٠-

سيدة زكي

قائمة المصادر والمراجع

أولا - المصـــادر العربيـــة

- ابن أبي السرور البكـــرى (ت١٠٦٠هـ/١٦٥٠م)
  * المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، مخطـوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات ، بجامعة الدول العربية بالقاهرة ،برقم ١١٠٥/تاريخ

- ابن الاثـــــير (على بن أبى الكرم الشيباني ،ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
  * الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ، بيروت ١٩٦٧م

- ابن اياس (محمد بن أحمد ،ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)
  * بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى، جـ ٤،٥ ، القاهرة - فيسبادن ،١٩٦١م .

- ابن بطوطه (محمد بن ابراهيم اللواتي ،ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
  * تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار بيروت ١٩٦٤م .

- ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف ،ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
  * النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،جـ ١٢ ، القاهرة، ١٩٥٦م .

- ابن خردا ذبه (عبيد الله بن عبد الله ، ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)

* المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م

- ابن الديبع (ابي الضياء عبد الرحمن بن على ، ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م)

* قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

- ابن رسته (احمد بن عمر ، ق ٣ هـ)

* الأعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩١م .

- ابن طولون (شمس الدين محمد ، ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)

* مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفي ، جـ ١ ، ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

- ابن العماد (ابو الفلاح عبد الحي ، ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ ٧ ، ٨ القاهرة ، ١٩٣٢م .

- ابن ماجد (شهاب الدين أحمد ،ق١٠ هـ)

* ثلاث أزهار في معرفة البحار ، تحقيق ثيودور شوموفسكي ،ترجمة محمد منير مرسي ، القاهرة ١٩٦٩م .

* كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ،تحقيق ابراهيم خوري ،وعزة حسن ، دمشق ١٩٧١م.

- ابن المطهر (عيسى بن لطف الله ، ت١٠٤٨هـ/١٦٣٨م)

* روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، برقم ٢/٢٦٢ تاريخ .

- أبو الفداء (اسماعيل بن محمد بن عمر ،ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

* تقويم البلدان ،باريس ١٨٤٠م .

- الاصطخري (ابراهيم بن محمد الفارسي ، ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)

* المسالك والممالك ، تحقيق محمد الحيني ،القاهرة ١٩٦١م .

- بامخـــرمه (عبدالله الطيب بن عبدالله ، ت٩٣٧هـ/١٥٣٠م)

* تاريخ ثغرعدن ، جـ١ ، ٢، ليدن ١٩٢٦م.

- حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله ، ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)

* كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، بغداد ١٩٤١م .

- الحمـــوي (ياقوت بن عبد الله ، ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

* معجم البلدان ، جـ١ ، ٣ ، ٥ ، بيروت ١٩٧٧م.

- الحميري (محمد بن عبدالمنعم ، ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)

* الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥م .

- زين الدين (ق١٠هـ)

* تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين ، لشبونة ١٨٩٨م .

- السالمي (محمد شيبه بن نور الدين)

* نهضة الاعيان بحرية عمان ، مخطوط بدارة الملك عبد العزيز ،الرياض ،برقم ٩٥٣/٥/م س

- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءاً ، القاهرة ١٣٥٣هـ- ١٣٥٥ هـ .

* التبر المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- الشوكاني (محمد بن علي ،ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)

* الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، جـ ١ ،٢ بيروت .

- الشيلي ، (جمال الدين ابي العلاوي محمد ، ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)

* السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، برقم ٦٩٩/ تاريخ .

- طاشكــبرى زادة (احمد مصطفى ، ت٩٦٨هـ/١٥٦٠م)

* مفتاح السعادة ومصبـاح السيادة ، تحقيــق كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور ، القاهــرة ١٩٦٨ م .

- الطــبرى (ابو جعفر محمد جرير ، ت٣١٠هـ/٩٢٢م)

* تاريخ الرسل والملوك .
جـ ١٢ ، بيروت .

- العيدروسي ، (محيي الدين عبد القادر بن شيخ ، ت ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨م) .

* النور السافــر عن أخبار القرن العاشر ، تصحيح محمد الصفار ، بغداد ، ١٩٣٤م .

- الغـــزى (نجم الدين بن محمد بدر الدين ،ت١٠٦١هـ/١٦٥٠م)

  * الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، أجزاء ١-٣ ،بـــيروت ١٩٤٥م .

- المسعودى (علي بن الحسين بن علي ،ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)

  * مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تحقيق محمـــد عبد الحميد ، جـ ١ ،بيروت ، ١٩٧٣م .

- المقدسي (محمد بن أحمد ،ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)

  * أحسن التقاسيم في معرفـة الأقالـيم ، ليـدن ١٩٠٦م .

- المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي ، ت٨٣٤هـ/١٤٣٠م)

  * السلوك لمعرفـة دول الملوك ، تحقيق سعيد عاشور ، جـ ٣، ٤ ، القاهرة ١٩٧٢م .

- المهري (سليمان بن أحمد بن سليمان ، ق١٠هـ)

* العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق ابراهيم خوري ،جـ ١ ،دمشق ١٩٧٠م .

* المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر ،تحقيق ابراهيم خوري ،جـ ٢ ، دمشق ١٩٧٠م .

* شرح تحفة الفحول في تمهيد الاصول في أصول علم البحر ، تحقيق ابراهيم خوري ، جـ ٣ ،دمشق ١٩٧٢م .

- النهروالي (قطب الدين محمد بن أحمد ،ت٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م)

* البرق اليماني في الفتح العثماني ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ١٩٦٧م .

* الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ،جوتنجن ١٨٥٧م.

- اليماني (يحي بن الحسين بن الامام القاسم ،ت١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م)

* أنباء ابناء الزمن في تاريخ اليمن ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة ،برقم ١٣٤٧/تاريخ .

* غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عاشور ،جـ ٢ ،القاهرة ١٩٦٨م.

ثانيا - المراجع العربية والمعرّبة

- أحمد دراج

  * المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري ، القاهرة ١٩٦١م

  * ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن ٩ هـ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، الموسم الثقافي لعام ٦٧/١٩٦٨م .

- أحمد فضل العبدلي

  * هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، القاهرة ١٣٥١هـ .

- أحمد مصطفى أبو حاكمه

  * تاريخ شرقي الجزيرة العربية - نشأة وتطور الكويت والبحرين ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، بيروت / ١٩٦٥م .

- أرنولد ، (توماس)

* الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن ابراهيم وعبد المجيد عابدين ، القاهرة ١٩٧٠م .

- اسماعيل سرهنك

* حقائق الأخبار عن دول البحار ، ٣ أجزاء ، القاهرة / ١٣١٢هـ .

- السيد رجب حراز

* الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٧٠م .

* اريتريا الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٤م

* عصر النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

- أنور عبد العليم

* ابن ماجد الملاح ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

- بانيكار

* آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد القاهرة ١٩٦٢م .

- جمال الدين الشيال

* تاريخ دول أباطرة المغول الاسلامية في الهند ، الاسكندرية ١٩٦٨م .

- حوراني ، (جورج فاضلو)

* العرب والملاحة في المحيط الهندى ، ترجمة يعقوب بكر ، القاهرة / ١٩٥٨م .

- ديل ، (شارل)

* البندقية : جمهورية ارستقراطية ، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم ، وتوفيق اسكندر ، القاهرة ١٩٤٧م

- دائرة المعارف الاسلامية

* مواد ، سفاله ، الحبشة ، الحويزه ، بغداد ، بندر عباس ، صحار ، حلب ، بيرى رئيس ، شهاب الدين ، البصرة .

- ريسلر، (جاك)

* الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، القاهرة.

- رانسيمان (ستيفن)

* تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، جـ ١ ، بيروت ١٩٦٧م .

- سالم الرشيدى

* محمد الفاتح ، بيروت ١٩٦٩م .

- سعيد عاشور

* الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، القاهرة ١٩٧١م .

- سعيد عوض باوزير

* صفحات من التاريخ الحضرمي ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ

- سليمان العسكرى

* التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٧٢م .

- سيد نوفل

* الاوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٦١م .

- سيديو

  * تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، دمشق ١٩٦٩م .

- شيني

  * تاريخ العالم الغربي ، ترجمة مجد الدين حفني ناصف ، القاهرة .

- صلاح العقاد

  * التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ١٩٧٤م .

- عبد الحميد البطريق

  * من تاريخ اليمن الحديث ، ١٩٦٩م .

- عبد الرحمن فهمي

  * النقود العربية ، ماضيها وحاضرها ، القاهرة ١٩٦٤

- عبد العـــزيز الشنـــاوي

* أوربا في مطلع العصور الحديثة ،جـ ١ ، القاهرة ١٩٧٧م .

- عبد العزيز نـــــــوّار

* العلاقات العراقية الايرانية ،القاهرة ، ١٩٧٤م

* تاريخ العرب الحديث ،جـ١ ، القاهرة، ١٩٧٦م

- عبد اللـــه الحبيــــد

* سفارة الامام المتوكل اسماعيل بن القاسم الى البلاط الملكي في عاصمة الحبشة جوندار ، مجلة كليـــة الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمـــة، العدد الثالث لعام ٩٧/١٣٩٨هـ .

- عبد المجيـــد عابديـــن

* الحبشـة والعرب ، القاهرة .

- عبد النعـــيم حسنـــين

* ايران في ظل الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

- فاروق عثمان أباظـــــــه

* عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمـــــر، القاهرة ،١٩٧٦م .

- فيشـــــــــــــــــر

* أوربا العصور الوسطى ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ج ٢ ،القاهرة ، ١٩٥٤م .

- قــــدري قلعجــــــي

* الخليج العربي ، ج ١ ،بيروت ، ١٩٦٥م.

- لوبـــون ، (غوستـــاف)

* حضارة العـــرب ،ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة

- لوريمــــــــــــــر

* دليل الخليج ، القسم التاريخي ،ج ١ ، قطر .

- لونكريك ، (ستيفن)

* أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، بغداد ، ١٩٤١م .

- متز ، (آدم)

* الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد أبو ريده ، ج ٢ ، بيروت ١٩٦٧م .

- محمد بن خليفة النبهاني

* التحفة النبهانية في امارات الجزيرة العربية ، ج ١ ، بغداد ١٣٣٢هـ .

- محمد بن عبد الله الاحسائي

* تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد علق عليه حمد الجاسر ، ج ١ ،الرياض ، ١٩٦٠م.

- محمد عبد اللطيف البحراوى

* فتح العثمانيين ،عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر ،القاهرة ، ١٩٧٩ م.

- محمد عبد الله عنان

* نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ج ٤ ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

* مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى ، القاهرة ١٩٦٩م .

- محمد فريد

* تاريخ الدولة العليّة العثمانية ، بيروت ١٩٧٧م

- محمد مصطفى زيادة

* نهاية سلاطين المماليك في مصر ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، المجلد الرابع العدد الاول في مايو سنة ١٩٥١م .

- مصطفى عبد القادر النجار

* شركة الهند الشرقية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ١٦ ، سنة ١٩٧٨م .

- نعيم زكى فهمي

* طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب القاهرة ، ١٩٧٣م .

- هاملتون جب وهارولد بوون

* المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة أحمد مصطفى، جـ ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٧١م .

- هونكه ، (زيغريد)

* شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ، وكمال الدسوقي ، بيروت ١٩٦٤م .

- يسرى الجوهرى

* الكشوف الجغرافية ، الاسكندرية ١٩٦٧م.

ثالثا) المصادر والمراجع الأوربية

٥٥٥

- Bell, Christopher : Portugal and the Quest for the Indies. (London, 1974).
- Cook, M.A :A history of the Ottoman Empire, (London, 1976).
- Encyclopaedia Britannica.
- Every man's Encyclopaedia.
- Inalcik Halil : The Ottoman Empire, (London, 1975).
- Milles, S.B : The Countries and tripes of the Persian Gulf, (London, 1966).
- Rabie, Hassanein: Political Relations between the Safavids of Persia and the Mamluks of Egypt and

Syria in the early Sixteenth Century.
بحث فى موءتمر التاريخ بمدينة ديترويت ، الولايات المتحدة الامريكيـــة ، سنة ١٩٧٧م .

- Serjeant, R.B: The portuguese off the South Arabian Coast (Beirut, 1974).
- Shaw, Stanford: History of the Ottoman Empire and Modern Turkey Volum (1) (New York, 1976).
- Sousa, Faria, The history of the Discovery and Conquest of India by the Portugues, Translated into English, by John Stevens, Volums, 1, 2, 3, (London, 1894).
- The Cambridge history of Africa, Volum (3) (London, 1977).
- The Cambridg history of Islam Volun(1) (London 1970).
- The New Cambridge Modern History Volum (2) (London, 1958).

-°-